هو لا يحب النساء وأنا إمرأة

خضراء القحطاني

رواية

رواية هو لا يحب النساء وأنا إمرأة

فهد محسن

العمر: 29 سنة

طويل القامة، جسده رياضي لكنه لا يهتم بإبرازه. بشرته قمحية مائلة للسمار، عيناه رماديتان باردة كأنها تخفي عاصفة لا تُقال. شعره أسود، كثيف، لكنه دائمًا مشعث قليلًا كأنه لا يبالي. ذقنه حادة، دائمًا يظهر بلحية خفيفة.

قاسٍ في مظهره وكلامه، لا يُظهر مشاعره، يعاني من صدمة خيانة زوجته السابقة ويُحمّل بنات حواء جميعًا ذنبها. منظم جدًا، يكره الفوضى، ويصعب كسب ثقته. لكنه في الداخل... هش أكثر مما يبدو.

سهير عادل.

العمر: 19 سنة

وجهها بيضاوي، عيناها واسعتان بلون العسل، فيهما مزيج من الطفولة والخذلان. بشرتها بيضاء تميل للوردية، شعرها بني ناعم طويل، غالبًا ما تربطه في ضفيرة بسيطة. ملامحها بريئة لكنها ليست ضعيفة.

ذكية، صبورة، تحاول دومًا أن تجد لنفسها مكانًا في حياة الآخرين دون إزعاج. رغم ضعفها الخارجي، تملك عزيمة صامتة. لا تحب المواجهات، لكنها إذا اضطرت... لا تتراجع.

مهاب علاء صديق فهد.

العمر: 30 سنة

وسيم بطريقة مرحة، بشرته فاتحة، شعره بني فاتح، عيناه خضراء، يبتسم كثيرًا. جسمه معتدل، ويهتم بمظهره.

عكس فهد تمامًا، اجتماعي، خفيف الظل، لكنه عميق حين يتطلب الأمر. يحاول دائمًا إخراج فهد من قوقعته. يرى الخير في الناس بسرعة، ويؤمن أن كل شخص يستحق فرصة ثانية.

رهف سامي صديقة سهير.

العمر: 20 سنة

قصيرة القامة، ممتلئة قليلًا، شعرها أسود لامع وقصير حتى الكتفين. عيناها بندقيتان، ذات نظرة حادة وفضولية. لديها ضحكة مميزة وصوت واضح.

جريئة، مرحة، لا تخشى قول الحقيقة مهما كانت جارحة. تحب سهير جدًا، وتشعر بمسؤوليتها تجاهها. قوية في المواقف، ولا تسمح لأحد بإهانة من تحب.

سلوى عبد الرحيم جارتهم الأرملة.

العمر: 38 سنة

ملامحها ناعمة رغم التعب الظاهر على وجهها. وجهها دائري، بشرتها قمحية، وشعرها غالبًا مغطى بحجاب بسيط. عيناها حزينة، لكنها دائمًا تبتسم.

أرملة منذ خمس سنوات، تربي أبناءها الثلاثة بمفردها. عطوفة، حنونة، تفتح بيتها لكل محتاج، وتحب سهير كابنة لها. علاقتها بفهد رسمية لكنها تكنّ له احترامًا كبيرًا رغم جفائه.

محسن فوزي والد فهد

العمر: 58 سنة

رجل ضخم البنية، شعره رمادي ناعم، بشرته داكنة، وعيناه سوداوان ثاقبتان. له شارب كثيف وصوت جهوري.

كان تاجرًا معروفًا في شبابه، لكن التقدم في السن جعله يميل للعزلة. علاقته بابنه فهد معقدة؛ يقدّره لكنه يختلف معه كثيرًا في طريقة الحياة. لا يحب التدخل في الأمور العاطفية، لكنه يلاحظ كل شيء بصمت.

لم تكن السماء تمطر ذلك اليوم، لكنها كانت ثقيلة، كأنها على وشك الانفجار، مثل صدر سهير.

وقفت عند بوابة بيت خالها، حقيبة صغيرة بجانبها، وعيونها تبحث عن أي شيء مألوف. لا شيء. هذا البيت لم تدخله من قبل، وهذا الرجل الذي يعيش فيه ابن خالها فهد لم تره إلا مرة واحدة وهي طفلة. يتذكرها؟ لا تدري. ولا يبدو أنه يهتم.

فتح الباب، ووقف في مواجهتها كتمثال صخري. طويل، عريض الكتفين، عيناه رماديتان باردتان، وفي صوته نبرة حادة:اتفضلي. الغرفة على الشمال. ممنوع الدخول على الجهة التانية. المطبخ بعد الساعة تسعة مفيش حد فيه. واضح؟

بلعت ريقها.

واضح... شكرًا.

دخلت بخطى مترددة، كأنها تتسلل، لا تنتقل للعيش.

الغرفة بسيطة، نظيفة لكنها خالية من الروح. وضعت حقيبتها، وجلست على طرف السرير. لأول مرة منذ أيام، سمحت لدمعة أن تنزل دون مقاومة.

في الأيام التالية، بدت الحياة في البيت كأنها تمرّ من خلال حواجز زجاجية.

فهد موجود، لكنها لا تجرؤ على الحديث معه. هو يتناول فطوره في صمت، يخرج إلى عمله، يعود، يقفل باب غرفته. لا أحد هنا سواها، ولا أحد يهتم بوجودها.

كانت تنظف وتطبخ أحيانًا، ليس لأنها ملزمة، بل لأنها تكره الشعور بأنها "حمولة زايدة.

كل مرة تحاول أن تبادله كلمة، يرد بإجابات مختصرة، كأن صوته لا يحب أن يُستخدم معها.

ذات مساء، عادت من السوق تحمل أكياسًا، فوجدته واقفًا على الباب، ينظر إلى ساعته:اتأخرتِ.

قالتها وهي تلهث: كان في زحمة... وبعدين السوق بعيد.

قلتلك المواعيد مهمة هنا. وإلا لو مش عاجبك...

قاطعته بدمعة خذلتها: أنا مش طالبة كتير، ولا جاية أزعج حد. أنا بس... مش لاقية مكان أروحه.

ساد صمت. ثم قال بصوت منخفض على غير عادته: مشكلتك إنك فاكرة إن الناس هتتعاطف معاك. بس العالم ده مابيرحمش.

دخل غرفته وصفق الباب.

أما هي، فجلست على الأرض، وسط أكياس الخضار، تحاول لملمة نفسها قبل أن تنهار تمامًا.

كان صباحًا رماديًا من تلك الصباحات التي لا تُبشر بشيء.

فهد كعادته، خرج مبكرًا دون كلمة، ولا حتى نظرة.

وسهير، جلست على السفرة تنظر إلى طبق الفول البارد. لم تكن جائعة، لكن فكرة الجلوس وحدها تزعجها أكثر من الجوع.

رن جرس الباب.

فتحت وهي تتوقع فهد ربما نسي شيئًا. لكنها فوجئت بامرأة في أواخر الثلاثينات، تحمل في يدها صينية عليها فطير وعلبة صغيرة من المربى.

صباح الخير يا بنتي، أنا سلوى جارتكم، ساكنة في الشقة اللي جنبكم. سمعت إنك جيتي جديد، قلت أجي أرحب بيكي.

ابتسمت سهير، وهي تحاول إخفاء المفاجأة: صباح النور... تسلمي، تعبتي نفسك.

ولا تعب ولا حاجة، إحنا جيران. والمكان من غير عشرة الناس بيبقى بارد.

دخلت سلوى وجلست، وصارت تنظر إلى سهير بعين الأم الحنونة. سألتها عن اسمها، عمرها، أهلها. وسهير تحكي بحذر، ثم براحة، ثم بدموع خفيفة كأنها وجدت لأول مرة من يسأل دون غرض.

بعد ساعة من الحديث، قالت سلوى:فهد طيب، بس قلبه مقفول. من ساعة ما مراته خانته وهو مش طايق الستات... ربنا يعينك، بس شكلك صبورة.

ضحكت سهير بخفة، لأول مرة منذ أيام:هو مش طايق حتى وجودي. بحس إني عالة هنا.

لا تقولي كده

انتي مش جاية تاخدي من حد، إنتي جاية تبني نفسك. ومين عارف؟ يمكن وجودك يغيّر حاجات.

عاد فهد مساءً ليجد المطبخ مرتبًا، ورائحة الفطير تعبق في المكان.

نظر إلى السفرة، ثم إلى سهير الجالسة تقرأ كتابًا صغيرًا.

ده منين؟

جارتنا سلوى جابت فطير... كانت لطيفة جدًا، وقعدت شوية.

لم يرد. مشى إلى غرفته، لكنه وقف عند الباب فجأة.

بلاش تكتروا كلام.

إحنا ما...

قاطعها بنظرة سريعة.

بس.

ودخل غرفته.

في تلك الليلة، جلست سهير أمام النافذة، تنظر إلى أضواء الشارع، تفكر في وجه فهد...

ذلك الوجه الذي لم يبتسم منذ مجيئها، لكن نظراته أحيانًا تخونه، تُظهر ما لا يقول.

فهد يملك شركة مقاولات صغيرة لكنها في طور التوسع، يعمل بجد ويكره الأخطاء. معروف بين الموظفين بلقب الجنرال لأنه لا يبتسم، ولا يتساهل، ويحاسب على يدير مكتبه بحزم، ولا يسمح بالمجاملات، حتى أن بعض الموظفين يتهامسون أنه بلا قلب. ومع ذلك، ينجز كل شيء بكفاءة، والكل يحترمه وإن لم يحبوه.

مهاب، صديقه القديم وشريكه في الإدارة المالية، هو عكسه تمامًا: مرح، محبوب، يعرف كيف يتحدث ويحتوي الناس، ويفهم "نفسية الموظفين". كثيرًا ما يتدخل ليصلح ما أفسده فهد بأسلوبه القاسي.

يتصادم الاثنان أحيانًا لأن مهاب يرى أن فهد يخسر طاقة الفريق بسبب صلابته، بينما فهد يرى أن مهاب "

لين زياده وده بيؤدي للفوضى.

يحدث خلاف حاد داخل الشركة بسبب مشروع فيه خلل في التنفيذ. فهد يصب غضبه على أحد المهندسين الجدد ويتهمه بالإهمال، رغم أن الخطأ لم يكن واضحًا.

مهاب يتدخل: يا فهد، اسمعني... الولد ده لسه جديد، وإحنا ما عرفناش نوجّهه كويس.

مهاب، أنا مش فاتح حضانة!

ولا أنا، بس ما ينفعش نكسر الناس وبعدين نشتكي إن محدش فاضل معانا!

الخلاف يتطور، ويصل لحد أنّ مهاب يهدد بترك الشغل. هنا يبدأ فهد بمراجعة نفسه، لا بسبب الخوف على العمل، بل لأن مهاب الوحيد اللي بيكلمه بصدق من غير ما يخاف.

في هذه الأثناء، تبدأ سهير تلاحظ اختلاف فهد في البيت بعد كل يوم عمل: أحيانًا أكثر توترًا، وأحيانًا يدخل وهو ساكت ومتعب، لكن في مرة يعود متأخرًا جدًا، جالسًا على الأريكة بملابس العمل، ويهمس: الناس مش ساهلين... واللي بيكسر، بيتكسر هو كمان.

منذ أن انتقلت سهير إلى منزل خالها، لم تلقَ ترحيبًا يُذكر من محسن. ورغم أن دوافعه لم تُفهم في البداية، فإن تعامله معها كان فاترًا، يميل إلى الجفاف، وأحيانًا يتّسم بالقسوة المباشرة، وكأن وجودها عبء ثقيل.

محسن رجل تقليدي حادّ الطباع، يرى أن البنت التي تخلّت عنها والدتها ليست أكثر من عالة. كان يُلقي تعليقات لاذعة على تصرفاتها، يراقب حركاتها بدقة، ويُحمّلها ما لا طاقة لها به من أعمال منزلية، فقط ليثبت أنها غريبة عن البيت.

في إحدى المرات، ضبطها تتحدث على الهاتف مع صديقتها رهف، فاتهمها بأنها بلا مسؤولية وبأن بيتهم ليس فندقًا لتتبادل فيه الحديث متى شاءت. لم يكن يسمح لها بالخروج كثيرًا، وكانت كل طلباتها تُقابل بالتجاهل أو التأنيب.

ورغم قسوة محسن، لم تكن سهير ترد أو تتمرد. بل حاولت بكل الطرق أن تُكسبه رضاها، تطهو له، تهتم بتنظيف البيت، وتعتني بأبنائه إن اضطر للخروج، لكنها لم تحظَ منه سوى بالجمود واللامبالاة.

ما لم تكن سهير تعرفه أن محسن كان يحمل في قلبه حزنًا عميقًا على وفاة زوجته، التي كانت الأقرب له، وأنه يرى في كل فتاة صورة خيانة من العالم، تمامًا كما حدث مع زوجة ابنه فهد. فسهير تُمثل له تكرارًا للخذلان، وإن كان ذلك ظُلمًا.

كانت الساعة تشير إلى الرابعة عصرًا.

هدوء غريب يملأ البيت، وكأن الجميع يتنفس على أطراف أصابعه.

سهير كانت واقفة في المطبخ، تُمسك بوعاء العدس بحذر، تراقب حجمه كأنها تستشير الحبوب عمّا إذا كان يكفي للعشاء. تعلم جيدًا أن خالها محسن لا يحب كثرة البهارات، ولا يطيق أن يتأخر الطعام عن موعده.

دخل محسن من الباب الخارجي، عابس الوجه كعادته. وضع مفاتيحه على الطاولة بصوت أقرب للطرق منه للوضع، ثم سار بخطوات ثابتة نحو المطبخ.

إيه الريحة دي؟

شوربة عدس، حضرتك بتحبها... صح؟

لم يجب. نظر في القدر، ثم إلى الأرض، ثم إلى سهير وكأنها كائن غريب في بيته.

يعني إنتي جاية بيتنا علشان تطبخي وتتفنني؟!

جف حلقها، لكنها حاولت التماسك: لأ والله، بس كنت فاضية وقلت أساعد شويّة.

ما تساعديش. كل واحد يلتزم بحجمه.

قالها ومشى نحو غرفته، يصفق الباب خلفه.

في المساء، اجتمعوا على المائدة. محسن جلس في مكانه المعتاد، يُقلّب العدس ببطء.

ده معمول بزبدة؟

لأ، زيت بس... زيت دوّار، علشان صحي أكتر.

رفع نظره نحوها للحظة، صامتًا. ثم تناول الملعقة وأخذ أول رشفة.

ظل يأكل دون كلمة. فهد لاحظ، وسهير اكتفت بالصمت. كانت تظن أنه سيقوم كالعادة دون أن يُكمل، لكنه أكمل الطبق كله.

وبعد أن انتهى، قال وهو يقوم:المرة الجاية... خلي العدس أنشف شوية.

لم يكن هذا مدحًا، لكنه لم يكن هجومًا أيضًا.

وسهير، في تلك اللحظة، شعرت كأنها كسرت حجرًا صغيرًا من جدار كبير اسمه محسن.

في خضم ضغط الشغل، يُعلن فهد عن صفقة ضخمة مع شركة أجنبية، تتعلق بتوريد معدات لمشروع حكومي حساس. الملفات محفوظة على جهازه الشخصي، لكن في اليوم التالي، تُفاجأ الشركة بأن العقد والتفاصيل تسرّبت إلى المنافسين.

فهد يجنّ جنونه، والتحقيق يبدأ.

يُكتشف أن أحد أجهزة الشركة تم استخدامه لتحميل الملفات، والغريب أن هذا الجهاز يعود إلى غرفة جانبية في بيته نفس الغرفة اللي كانت سهير تستخدمها أحيانًا في الطباعة أو الدراسة.

تبدأ الشكوك تدور حولها، خاصة أن محسن يُلقي اللوم عليها مباشرة، ويقول بحدة:

ما كانتش مرتاحة هنا من الأول، ودي آخرها!

فهد يلتزم الصمت، لكنه ينظر إليها نظرة صادمة، ما بين الاتهام وعدم التصديق.

أما سهير، فتنكر بكل دموعها، لكن الأدلة التقنية ضدها.

مهاب، الصديق المقرّب، يرفض تصديق التهمة. يبدأ البحث بنفسه، ويكتشف وجود كاميرا أمنية في محيط المكتب لم ينتبه لها أحد.

ومع تتبعه للفيديوهات، يظهر شخص يرتدي قبعة ويدخل المكتب في وقت متأخر... وبملامح غامضة، تُظهر اللقطة يدًا بأنامل رفيعة... مش يد راجل.

ليان شقيقة مهاب:مهندسة أنظمة ذكية، عائدة من السفر بعد بعثة دراسية، وتعمل في الأمن السيبراني.

مهاب يطلب مساعدتها سرًا لكشف الحقيقة، فتقوم بتحليل بيانات دخول النظام وتكتشف أن هناك اختراقًا تم من جهاز داخلي لكن من خلال تطبيق بعيد، أي أن المخترق استخدم جهاز سهير دون علمها.

تبدأ ليان في ملاحقة أثر المخترق، وتكشف أنه موظف سابق تم طرده من قبل فهد، ولديه ثأر قديم. لكن الأكثر صدمة؟ أنه استغل فرصة دخول سهير لمكتب فهد ذات يوم لترتيب الملفات، ووضع برنامج تجسس على الطابعة الذكية المرتبطة بالشبكة.

مهاب يواجه فهد بالحقيقة.

في حيّ مختلف، تسكن عائلة خال فهد، جمال، الرجل الحادّ الطباع، الذي يُعرف بين أهله بلسانه اللاذع وحدّته في الرأي.

بينه وبين محسن والد فهد عداوة قديمة، بدأت منذ عشرين سنة، حين تقاسما إرث والدتهما، ووقع بينهما خلاف حاد حول قطعة أرض رفض جمال التنازل عنها، واتهم محسن وقتها بالتزوير وسوء النية.

ومنذ ذلك اليوم، لم يجتمع الاثنان في مجلس واحد دون أن يتطاير الشرر.

خال فهد يُربّي أولاده على رفض عائلة محسن، ويعتبر أن كل ما يمتّ له بصلة لا يُؤتمن، بل ويُكنّ الحقد لفهد نفسه، لأنه يرى فيه نسخة متغطرسة من أبيه، رغم أن فهد لم يُسئ له يومًا.

في هذا البيت الكبير، تعيش زوجة جمال المسكينة، وثلاثة من أولاده، بينهم فتاة في سن قريبة من سهير تُدعى ناريمان، طيبة القلب لكنها واقعة تحت سطوة والدها.

مع تصاعد التوتر في بيت محسن بعد قضية الملفات، تبدأ الإشاعات تنتشر... وأحد أبناء جمال يروّج في الحي أن سهير مش بريئة، وأنها قريبة من فهد أكتر من اللازم.

هذه الأقاويل تصل لأذن جمال، الذي يفرح سرًا لأن فضيحة كهذه قد تُحرج محسن أمام الناس، لكنه يدفع بناريمان للاقتراب من بيت محسن أكثر، بحجة "تسلم على سهير وتشوف أخبارهم.

ناريمان، دون علم والدها، تُخبر سهير بما يُقال عنها، ما يسبب جرحًا نفسيًا لها، وتبدأ تفكر في ترك المنزل. لكن فهد في تلك المرحلة يكون قد عرف الحقيقة... ويمنعها.

لاحقًا، يحدث موقف اجتماعي يجبر العائلتين على الاجتماع:خطبة أحد أولاد جمال من قريبة لمحسن، ويُضطر الجميع للحضور.

اللقاء يكون مشحونًا... وتبدأ المواجهات تتصاعد: كلمات جارحة نظرات عدائية

اتهامات مبطّنة

وفي قلب هذه الأجواء المتوترة، تظهر ليان شقيقة مهاب وتُواجه أحد أولاد جمال الذين اتهموا سهير، وتُحرجه أمام الجميع بأدلة فنية قاطعة.

وفي أحد الأيام وصلوا إلى الشاليه مع غروب الشمس، السماء ملوّنة بالبرتقالي والذهبي، والهواء يحمل نسمات بحرية منعشة. كان المكان منعزلًا بعض الشيء، تحيط به الأشجار من الخلف، ويقابله البحر بهدوئه الممتد.

مهاب وقف مبتسمًا عند المدخل: أخيرًا يا جماعة... إجازة بدون توتر، لا ملفات، لا تهم، لا شغل!

سمر خطيبة عاصم لوّحت بشعرها وقالت بحماس:وأنا معتمدة عليكم ننسى هم الدنيا.

فهد دخل بصمت، عيناه تدوران في المكان، وعقله في مكان آخر، لكن ملامحه هدأت قليلًا عندما لمح حوريه أخته في الرضاعة تضحك مع ليان.

عاصم حمل مكبر صوت صغير، وبدأ يشغّل موسيقى هادئة، ثم قال ضاحكًا:مين مستعد للعبة التحدي على الرمل؟

مرّت الساعات الأولى خفيفة...

ضحك، تحديات بسيطة، سباق على الشاطئ، شوي طعام، وغروب خلاب التقطوا معه صورًا كثيرة.

في الداخل، جلست الفتيات يتحدثن، بينما خرج الأولاد لتنظيف الأدوات الخارجية.

سمر نظرت إلى حوريه وقالت: كنتِ محتاجة لحاجة زي دي، وشكلك ارتحتِ.

حوريه ابتسمت بخفة: لأول مرة من فترة بحس براحة... بس مش عارفة ليه قلبي مش مطمئن تمامًا.

سمر هزّت رأسها: إحساس بنت... ساعات بيصدق.

مع حلول الليل، بدأ الجو يبرد قليلًا. أضاءوا الأنوار الخارجية، وجلسوا حول طاولة في الفناء يتحدثون، لكن فجأة...

كل الأضواء انطفأت.

صمت تام.

ثانية، ثانيتين، ثلاث... ثم صوت حركة خلف الأشجار.

فهد وقف فورًا، نظر حوله: الكشاف... مين معاه كشاف؟

عاصم همس:دي مش ريح... حد بيتحرك فعلاً.

قبل أن يُكمل، اقتحم المكان أربعة رجال ملثمين، مسلحين بعصيّ حديدية وعصيّ كهربائية.

صرخت حوريه، وركضت ليان بسرعة لسحبها هي وسهير إلى الداخل.

مهاب حاول الوقوف في وجه أحدهم، تلقّى ضربة حادة على كتفه وسقط، ينزف.

عاصم تعثر أثناء الركض، ضُرب في ظهره ووقع أرضًا.

فهد هجم على أحدهم بقبضته، لكن ضُرب بعصا كهربائية أفقدته توازنه لثوانٍ.

في الفوضى، تسلل أحد الملثمين إلى الغرفة الجانبية، حيث كان خالد، شقيق عاصم الصغير، نائمًا... وخطفه.

في أقل من دقيقتين...

ركضوا جميعًا إلى سيارة دفع رباعي، وانطلقوا بسرعة جنونية... تاركين خلفهم دماء، وذعر، وذهول.

فهد ركض خلف السيارة، لكن الظلام والصدمة أبطآه.

ليان أمسكت يد سمر التي كانت ترتجف.

حورية وقفت في الزاوية، أنفاسها تتلاحق، ووجهها شاحب.

عاصم صاح:خالد! خالد فين؟!

لم يجب أحد... فقط صوت البحر، ونبضات القلوب الواجفة.

مهاب، رغم إصابته، أمسك بهاتفه واتصل بالشرطة.

فهد جلس على الرمل، يداه ملوّثتان بالدم، وعيناه معلّقتان بالفراغ.

همس بصوت مبحوح: دي مش صدفة... الهجوم ده مش عشوائي.

ليان نظرت إليه بتركيز: تقصد إيه؟

نظر إليها، ثم همس:واحد منهم... شُفته قبل كده.

بعد مغادرة الشرطة مكان الحادث، وبعد أن اكتفوا بتصوير الموقع وأخذ أقوال الجميع، بدا واضحًا أن شيئًا لن يحدث قريبًا.

فهد كان يمشي حول الشاليه، يتحرك في صمت، لكن عينيه تلتهمان كل تفصيلة في الأرض.

توقف فجأة، ثم انحنى.

مهاب، رغم آلام كتفه الملفوف، اقترب منه:لقيت حاجة؟

فهد رفع يده وهو يُخرج من الرمل ولاعة معدنية سوداء منقوشة عليها شعار صغير، وقال بصوت خافت: دي بتاعة واحد من الرجالة اللي شفتهم قبل كده... كان بيقف دايمًا عند باب شركة في وسط البلد.

مهاب اتسعت عيناه: تقصد شركة "الصفوة"؟ الشركة المنافسة ليك؟

هز فهد رأسه:أيوه... والليلة دي ما حصلتش صدفة.

عاد الاثنان إلى الداخل. الباقي كانوا في حالة انهيار، لكن فهد لم يكن في وضع يسمح له بالراحة.

قال فجأة: مش هستنى الشرطة. أنا اللي هجيب خالد.

عاصم رفع عينه بسرعة: إزاي؟

مهاب ألقى نظرة على فهد، ثم قال بثقة: معاه حق... إحنا نبدأ من اللي نعرفه.

أول خطوة كانت تتبع الولاعة، الشعار عليها يخص مقهى مشهور في شارع جانبي بوسط البلد.

قرروا التوجه للمكان صباحًا، والجلوس فيه كأنهم زبائن، في محاولة للتعرف على الوجوه.

في الوقت نفسه، استعان فهد باتصالاته القديمة في السوق السوداء، ليحاول تتبع لوحات السيارة التي استخدمتها العصابة.

في الصباح التالي، جلس فهد ومهاب في المقهى، كل منهما يراقب من زاويته.

بعد ساعة، دخل رجل ضخم الجسم، بلحية غير مرتبة، وجلس في الزاوية... كان يحمل نفس الولاعة.

مهاب تمتم: هو ده.

فهد بهدوء: متتحركش دلوقتي... نراقبه الأول.

بعد نصف ساعة، نهض الرجل واتجه لخارج المقهى، دخل زقاقًا ضيقًا خلف المبنى.

لحق به فهد ومهاب من بعيد، بحذر...

وفي الزقاق، رأوه يسلم حقيبة لرجل آخر، ويهمس له بشيء، ثم يشيران إلى مبنى قديم متهالك في آخر الزقاق.

فهد همس: ده مكانهم... لازم نرجع نخطط كويس.

عادا للشاليه مؤقتًا، وأبلغا عاصم بالتفاصيل.

كان واضحًا أن خالد محتجز هناك...

لكن كيف سيتسللون؟

كيف سينقذونه دون أن يصيبوه؟

ودون أن يُمسكوا هم أنفسهم؟

سمر التي كانت تستمع من بعيد، اقتربت وسألت بقلق:

أنت متأكد إنك هتقدر تدخل المكان ده لوحدك؟

فهد نظر لها بعينيه الثاقبتين، ثم إلى سهير التي كانت تراقبه بصمت، وقال:لو احتاجت أدخل الجحيم عشان خالد...

بداية السنة الدراسية الجديدة، المكان: كلية الإعلام، القاهرة.

مالك كان واقف عند سور الكلية، ماسك سيجارة مطفية من غير ما يولّعها. مجرد عادة قديمة بقت زي مسك العصا من النص، لا هو عايز يقلع عن حزنه، ولا هو قادر يغرق فيه تاني.

نور شافته من بعيد، لابس جاكت كحلي باهت وبنطلون جينز رمادي، واقف ساكت وسط الزحمة، كأنه مش جوّه الدنيا دي.

مالك مش طبيعي. عينه فيها حاجة اتكسرت ومحدش عرف يصلّحها.

نور بتحاول تقرّب منه، بس هو دايمًا بيرد بكلمات قليلة، بيتسم بس مش من قلبه، ويهرب من أي لحظة ممكن تفتحله باب وجع قديم.

من خلال لقاءاتهم المتكررة في مشاريع الكلية، بدأت نور تحس إنه مش بس هادي، ده هادي بزيادة. كأن كل حاجة بتعدي جنبه ومش بتلمسه.

أثناء جلسة مع المجموعة، بدأوا يتكلموا عن العلاقات، وكل واحد بيفضفض:

حسام: أنا مش بدوّر على حب، بدوّر على ترند. الشهرة دلوقتي أهم من المشاعر!

سارة: نفسي حد يسمعني، مش بس يشوف رسمي.

علي:أنا تايه بين الصواب والغلط... بس بصراحة، بحب أعيش في الحتة الرمادية.

لكن لما الدور جه على مالك، قال:أنا كنت بحب واحدة... ماتت في حادثة. ولسه مخرجتش منها.

الهدوء خيّم على الترابيزة. نور قامت، مش قادرة تتحمل أكتر. سابتهم ومشيت، وفي قلبها نار مش قادرة تطفيها.

نور قعدت على سلم الكلية، بتبص في السما، والدموع نازلة من غير صوت. قالت لنفسها:خليكي انتي كدا زعلانة عليه... هو اختار يفضل مع واحدة مش موجودة، وأنا مش هكون خيال جديد في حياته.

لكن الحقيقة إن مالك سمعها وهي بتقول الجملة دي. وقف من بعيد، حس لأول مرة إنه يمكن بيخسر حد حي، مش بس بيتعلق بحد مات.

في المساء، عاد فهد ومهاب إلى محيط المبنى القديم، هذه المرة معهم عاصم، رغم إصرار فهد على أن يبقى خارج الخطة، لكنه رفض.

وقفوا خلف سور منخفض يطل على البناية، التي بدت كأنها مهجورة من الخارج، لكنها كانت تنبض بالحركة خلف الجدران.

مهاب همس: فيه كاميرا فوق الباب الحديدي... مش محترفة، بس شغالة.

عاصم راقب المبنى بنظرات قلقة: خالد فين جواه؟ ومين معاهم؟

فهد أخرج خريطة مطبوعة: حسب تقديرنا، المبنى مكوّن من ثلاث غرف أساسية، وغرفة خلفية ممكن تكون مكان الاحتجاز.

جهّزوا أدوات بسيطة:قفازات سوداء

كشاف يدوي

سكين صغير

رذاذ فلفل

وصاعق كهربائي استعاره فهد من أحد معارفه

الاقتحام تم عبر نافذة جانبية مهشّمة.

دخلوا بصمت، الواحد تلو الآخر.

الممر كان ضيقًا، تفوح منه رائحة العفن والرطوبة.

مهاب تقدّم أولًا، خلفه فهد، وعاصم يغطي ظهرهم.

في الغرفة الأولى، كان هناك رجل واحد... نائم على كرسي، رأسه متدلٍ، وبجانبه سلاح صغير.

فهد أشار لمهاب...

لحظة خاطفة، ضربه بالصاعق، فسقط دون صوت تقريبًا.

تابعوا التقدّم إلى الغرفة الثانية، حيث سمعوا صوت بكاء مكتوم...

عاصم خنق صوته وهو يهمس: خالد!

دخلوا فجأة، وجدوا الطفل مقيّدًا، ووجهه مُلطّخ بالدموع.

فهد ركض نحوه، وحرّر يديه بسرعة.

لكن ما إن حمله حتى انفتح الباب الخلفي بعنف...

رجلان ضخمان دخلا الغرفة، أحدهما يحمل عصا حديدية، الآخر سكينًا!

اندفع مهاب إلى الأمام، تلقى أول ضربة على ذراعه لكنه رد بلكمة أسقطت السكين.

فهد أخرج الصاعق، وضرب به الرجل الثاني في رقبته، فسقط صارخًا.

عاصم وقف ثابتًا رغم الارتجاف في يديه، وساعد مهاب على تقييد الرجلين بحبال وجدوها بالغرفة.

أخذوا خالد وخرجوا بنفس الطريق، متخفّين في الظلام، وخطواتهم متسارعة.

عندما وصلوا السيارة، جلس خالد في حضن شقيقه، يبكي بهدوء، وعيناه مغمضتان.

مهاب وهو ينظر إلى فهد: دي مش النهاية... الناس دي مش هتسكت.

فهد بصوت غليظ:وأنا كمان.

عادوا إلى الشاليه قبل الفجر بقليل.

لم يعرف أحد بما حدث غيرهم.

حاتم كان دايمًا بيحب يبان، مش بس في لبسه ولا عربيته، لأ، في طريقته في الكلام، في ضحكته اللي دايمًا محسوبة، وفي طريقته لما يشوف بنت حلوة بتعدي من جنبه.

واللي ما تعرفهوش مريم، خطيبته، إنه كل مرة بيتشد لبنت في الشارع، بيبقى جواه فيلم درامي كامل، هو البطل فيه، وهي البطلة اللي ظهرت فجأة تقلب أحداث المسلسل.

في يوم كانوا ماشيين سوا على الكورنيش، إيديهم في إيد بعض، وهما بيضحكوا وبيتكلموا عن فرش الشقة.

عدّت من جنبهم بنت شعرها بني، لابسة جيبة قصيرة ونضارة شمس كبيرة. حاتم حس الدنيا وقفت.

بص لها، وبعد ما عدّت، قالها بنبرة واطية شبه الهوا:يا خسارة الزمن... لو شوفتك قبل مريم، كنت قولتلك انتي اللي كنت مستنيها.

مريم وقفت. بصّت له، وابتسمت بخفة، وقالت:كويس إنك شوفتها دلوقتي... علشان أنا اللي همشي.

حاتم ضحك وقال:يا بنتي دي هزار! هزار يا مريم، انتي مش عارفة دمّي الخفيف؟!

لكن مريم ما ضحكتش.

قالت له وهي بتفك إيديها من إيده:دمّك تقيل... وتقيل أوي كمان لما يتقال وأنا موجودة.

بعد أيام من حادثة إنقاذ خالد، يعود الجميع للحياة الطبيعية ظاهريًا، لكن فهد يعيش في حالة توتر داخلي، مشاعره تجاه سهير تتأرجح بين الغضب والضعف.

في تلك الليلة، عاد فهد فجأة للبيت ليجد سهير وحدها، تضحك وهي تتصفح هاتفها، وفي اللحظة نفسها تصله رسالة مجهولة على هاتفه تتضمّن:شكراً لأنك أهملت بيتك... بس احنا أخدنا كفايتنا من أسرارك. سلم على اللي بتضحك!

انفجر الغضب في عروقه، فظن أن سهير تتعاون مع من سرق ملفات شركته أو خان ثقته.

لم يُعطِ نفسه وقتًا ليفهم، اقتحم الغرفة، سحبها من شعرها وصفعها وسط صراخها وذهولها، ثم طردها خارج البيت، غير مكترث لدموعها ولا حتى لصراخ والده محسن الذي وقف مذهولًا، لم يعرف السبب.

سهير تقسم أنها لا تعرف شيئًا.

فهد يرفض حتى النظر في وجهها، ولا يسمح لها بدخول البيت.

لكن بعد ساعات من طردها... تصله رسالة جديدة:غضبك يفضح ضعفك. شكراً لأنك نفذت لنا المطلوب، من غير ما نحرك إصبع.

ركلة الباب خلفها كانت أقوى من الصفعة.

وقفت سهير على الدرج، شعرها مبعثر، خدها محمر، وصدرها يعلو ويهبط من الصدمة.

المطر بدأ يتساقط خفيفًا، وكأنه يواسيها بصمته.

ظلت واقفة دقائق طويلة، لا تصدق ما حدث.

كيف انتهت اللحظة من ضحكة خفيفة إلى ضربة موجعة؟

كيف تحوّل فهد إلى هذا الوحش فجأة... دون إنذار، دون تفسير؟

خطت خطوات بطيئة في الشارع، لا تدري إلى أين تذهب.

عقلها مشتت، قلبها يئن، وتلفحها كلمات فهد الأخيرة:اخرجي من بيتي! مش عايز أشوف وشك تاني!

وصلت إلى بناية رهف بعد نصف ساعة، طرقات خافتة على الباب، ودموع لا تهدأ.

رهف احتضنتها دون كلام، وأدخلتها بسرعة.

في صباح اليوم التالي...

سهير كانت في فراش رهف، جسدها مُنهك، عيناها متورمتان.

رهف أحضرت لها شايًا، جلست بجانبها وهمست:فهد اتصل؟ حاول يشرح؟

هزت سهير رأسها بالنفي، وقالت بصوت خافت:أنا مش فاهمة ليه عمل كده... ولا إيه اللي وصله للمرحلة دي.

في ذات اللحظة، كانت رهف تتحقق من هاتفها...

رسالة غريبة وصلت في منتصف الليل:سهير كانت البداية... مش كل اللي ساكن في البيت طاهر. خبيها كويس، اللعبة لسه طويلة.

رهف قرأت الرسالة وارتعشت يدها. لم تخبر سهير.

نظرت إلى صديقتها النائمة، وتمتمت لنفسها:فيه حاجة أكبر مننا بتحصل...

لاحقًا، في مكان آخر...

كاميرا مراقبة قديمة سجّلت دخول فتاة غريبة إلى مبنى مهجور في أطراف المدينة.

الفيديو انتشر على الإنترنت بين بعض الدوائر المغلقة بعنوان:هي دي اللي عندكم؟ لسه فاضل حاجات كتير تنكشف.

في المدينة المزدحمة، حيث تمضي الأرجل على الإسفلت دون أن تتوقف لتسمع تنهيدة، كان كل شخص يعيش عالمًا صغيرًا من الخذلان، دون أن يدري أحد.

في ورشةٍ صغيرة قرب السوق الشعبي،

جلس جاسر فوق مقعد خشبي، تتقشر حوافه من الزمن، يُصلح دراجة نارية لشاب مستعجل.

يداه تعملان، لكن روحه معلّقة في آخر رسالة صوتية وصلته:أنا آسفة يا جاسر... أنا اخترت أعيش، تعبت من الانتظار.

لم تكن هند مجرد فتاة.

كانت أحلامه، خيال ما بعد كل نوبة تعب.

منذ أربع سنوات، وهو يخصم من طعامه ومدخراته ليشتري لها ما تستحق.

والآن؟

ذهبت مع أول من وعدها بحياة جاهزة.

يبتسم للزبون ويُسلّمه الدراجة، ثم يعود ليطفئ النور، ويجلس وحده في الظلمة...

ليس لأنه لا يرى، بل لأنه لا يريد أن يرى ما تبقى له.

في حي آخر، داخل غرفة مزدحمة بالكتب وأوراق المذاكرة،

جلست سما، وجهها شاحب، وعيناها متورمتان من السهر.

والدتها تصرخ من المطبخ:عايزة مجموع كبير يا سما، إنتي أملنا!

تحاول سما أن تُجيب، لكن الكلمات تختنق في حلقها.

كم مرة حاولت أن تقول إنها منهكة؟

أن قلبها يخفق كأنها تلاحق قطارًا لا يصل؟

لكن لا أحد يسمع صوتًا لا يُنطق.

تغلق الكتاب، تنظر إلى السقف، وتفكر:هل لو فشلت، هيفضلوا يحبوني؟

في الطابق العلوي من بيت واسع،

يجلس الحاج سعيد، بيده مسبحة، وبعينه نظرة تشبه نافذة مغلقة.

في الأسفل، الضحكات عالية، التلفاز يعرض مباراة، الأولاد يصرخون، البنات يتحدثن عن المسلسلات.

ولا أحد صعد ليسأل:حاج سعيد... عايز حاجة؟

كان معلم رياضيات لثلاثين سنة.

خرّج أطباء ومهندسين.

والآن، لا يُسأل عن الساعة أو حتى "كيف حالك؟

يكتب في دفتره القديم، دون أن يُريه لأحد:أنا هنا... فقط لمن يهتم.

وفي المدينة ذاتها،

تُطوى الحياة مثل ورقة داخل جيب مهمل،

وتمضي الأيام كأن شيئًا لم يحدث...

حاتم بقى تايه. مريم مش بس مش بترن عليه، دي مسحاه من كل حتة، فيسبوك، واتساب، وحتى الإنستجرام اللي كانت بتبعتله عليه ريلز عن الجواز والمطبخ، بقى مقفول.

قعد مع صاحبه رامي في القهوة وقال له:أنا كنت بهزر... يعني هو كل واحد قال كلمة في لحظة يضيع كل حاجة؟

رامي ضحك وقال له:انت مش بتهزر يا صاحبي، انت مُدمن جُمل... بتحب تعيش دور العاشق في أي لحظة، حتى لو معاكي عروسة.

حاتم سكت، افتكر كل البنات اللي عدى عليهم بنفس الأسلوب:مرة قال لواحدة:ضحكتك دي فيها وجع، حسّيتها.

ومرة تانية لوحدة في الأسانسير:لو القدر قابلني بيكي بدري، كنت كتبتلك شعر.

ولما واحدة قالت له إنها مرتبطة، قال: "أنا كمان... بس الارتباط مش دايم، إنما الإحساس لا."

كل مرة كان بيقولها بنفس التون، بنظرة شبه حزينة، وكان بيقنع نفسه إنه مش خاين... ده مجرد لحظة إعجاب بريئة.

بس دلوقتي، لما مريم مشيت، بدأ يحس إن اللعبة خلصت.

قرر يروح يقابل مريم عند شغلها، وقف مستنيها على الرصيف، شايل ورد أبيض.

أول ما شافته قالت:جاي تعتذر ولا جاي تحور؟

قال لها بنظرة حزينة:أنا كنت بحب واحدة... ماتت مقتولة. ومن ساعتها وأنا ضايع، كل مرة بشوف فيها شبهها في أي بنت، بتطلع الجملة لوحدها... أنا آسف.

مريم بصّت له شوية وقالت:الحادثة دي حصلت كتير؟ لأن واضح إن الشبه بيعدي جنبك كل يومين!

سكت.

قالت له بهدوء:أنا مش البنت اللي تستاهل تبقى محطة في طريقك، ولا تستاهل تبقى واحدة من اللي عدّوا... أنا كنت شايفاك بيت، وطلعت شارع مليان إشارات غلط.

كانت سهير تجلس بصمت، تتصفح هاتفها، لكن عقلها مشتت تمامًا.

البيت هادئ بشكل مخيف، وقلقها الداخلي لا يتوقف. رهف خرجت مبكرًا، وقالت إنها ستتأخر.

كل شيء يبدو عاديًا... حتى طرق الباب.

ارتعشت أصابعها، حدسها ينبّهها أن هناك شيئًا غير مريح.

اقتربت من الباب بخفة، ونظرت من العين السحرية...

شاب غريب، ملامحه حادة وجذابة، لكن نظراته باردة كالسكاكين.

تراجعت للوراء بهدوء، لكن قبل أن تستوعب ما يحدث، فتح الباب من الخارج ودخل!

تجمدت، عيناها تتسعان برعب، همست:مين إنت؟! إزاي دخلت؟

رفع حاجبيه بدهشة واستغراب ممزوج بشكّ واضح، وقال بنبرة جافة:السؤال ده المفروض أنا اللي أسأله... إنتي مين؟

ارتبكت وهي تتراجع، ثم قالت بقلق:أنا... اسمي سهير. صديقة رهف، ساكنة معاها كم يوم بس.

نظر حوله، ثم عاد ببصره إليها وقال بجمود:رهف أختي. وما قالتليش إن في حد غريب في بيتها.

شهقت سهير:أخوها؟!

قبل أن تنطق بشيء آخر، رن هاتف سهير. كان فهد.

أجابت بسرعة:فهد... في شاب دخل البيت، بيقول إنه أخو رهف... أنا خايفة.

رد فهد بنبرة حادة:إياكي تفتحي الباب لأي حد. أنا جاي حالًا.

بعد دقائق، فُتح الباب بقوة، ودخل فهد كالعاصفة.

نظراته مشتعلة، لم ينظر حتى إلى سهير.

حدّق مباشرة في راكان وقال بحدة:إنت مين؟ وبتعمل إيه هنا؟

التفت راكان إليه بثقة، وقال ببرود:أنا راكان، أخو رهف. وأنت؟

رد فهد بصوت خشن:اللي مش مرتاح لوجودك.

اقترب الاثنان من بعض، والجو مشحون بالكامل.

تدخلت سهير محاولة تهدئة الموقف:هو فعلاً أخوها يا فهد...

لكن فهد قطعها بحدة دون أن ينظر لها:اسكتي إنتي.

شهقت بخيبة، وظهر الأذى في عينيها.

تجمّد راكان، ثم قال ساخرًا:واضح إن علاقتكم معقّدة.

رد فهد، بنظرة حادة:أنا لا ليّا علاقة بيها ولا عايز يكون. بس وجودها دايمًا بيجيب المشاكل.

نظرت له سهير بدهشة وانكسار، بينما أكمل فهد:كل مكان تكون فيه، لازم يصير فيه توتر. وكل مرة، أضطر أجي عشان أشوف إيه المصيبة الجديدة.

قال راكان بابتسامة باردة:غريب... كأنك بتحميها، وأنت بتكرهها بنفس الوقت.

فهد التفت إليه وقال:أنا ما أكره حد، بس أعرف أشوف النية من أول نظرة.

وقفت سهير في منتصف المكان، تحدق في الاثنين.

قلبها ينقبض من كلمات فهد، لكنها تماسكت، وقالت بصوت منخفض لكنها واثقة:أنا ما طلبت منك تحميني يا فهد... ولا حتى وجودك.

رمقها بنظرة طويلة ثم قال:ما كنت جيت لولا رهف طلبت مني أتابعك.

في هذه اللحظة، دخلت رهف، وارتبكت من المشهد.

قالت بدهشة:إيه اللي بيحصل؟! راكان؟!

ابتسم راكان وقال:كنت بس بعرّف نفسي لصاحبتك... الأمور خرجت عن السيطرة شوي.

ثم نظر لفهد، وأضاف:وبعدين، واضح إن الكل عنده أعصاب مشدودة.

خرج فهد دون أن ينظر إلى أحد، وترك خلفه سهير مشوشة، وراكان يبتسم بنظرة غامضة.

من بعد آخر لقاء بينهم، ونور قررت تبعد.

ما بعتتش له، ما سألتش، ما لمّحتش.

بقت تنزل صور كتير، ضحكة واسعة، خروج مع صحابها، ستوريهات كلها حياة وألوان.

كأنها بتقول له:بص، أنا تمام... من غيرك.

بس الحقيقة؟ كل ضحكة كانت مستعارة، وكل صورة فيها فراغ جنبه، كانت بتقصّه منه غصب عنها.

مالك لاحظ كل حاجة.

الصور، الستوري، حتى البوست اللي كتبت فيه:الناس مش بيبعدوا فجأة... هما بس بيمشوا لما يحسوا إنهم بيتواجعوا لوحدهم.

قراه أكتر من مرة.

حس بكلامها وهو بيخبط على قلبه اللي مش عارف ينطق، ومش قادر يقول:أنا كنت بحاول أحميك مني.

لكن هو ساكت.

مش لأنه مش حاسس... بس لأنه مش متعود يطلب حاجة، خصوصًا الحب.

نور في مرة كانت ماشية لوحدها، شافت واحد لابس نفس جاكيت مالك من بعيد، قلبها ضرب.

قربت بسرعة...

بس طلع واحد تاني.

ضحكت بخفة حزينة، وقالت لنفسها:أنا اللي بعدت... وأنا اللي قلبي لسه هناك.

رجعت البيت، مسكت موبايلها، كتبتله رسالة طويلة، ومسحتها.

كتبتله "وحشتني، ومسحتها.

وفي الآخر... ما بعتتش حاجة.

مالك بدأ يكتب تاني.

بس المرة دي، ما نشرش الكلام.

احتفظ بيه لنفسه.

كتب:كان نفسي أقولك إنك الوحيدة اللي ضحكتها بتوجعني لما مش بكون سببها...

وكان نفسي أقولك إن كل اللي بعدك كأنهم أوهام.

بس أنا خوفت أقرّب، أكون سبب في أي وجع تاني ليكي.

فبعدت... وسكت.

لم يكن الصباح مختلفًا عن سابقيه، لكنه كان أثقل على قلب جاسر.

في عمر الثلاثين، أنهكه الركض خلف أحلام مؤجلة. شابٌ بسيط يعمل في إحدى شركات التوزيع، يبدأ يومه مع شروق الشمس، وينهيه متعبًا مع غروبها، فقط ليعود إلى غرفة صغيرة فوق سطح منزل قديم في حي شعبي.

اليوم كان صعبًا... لم يكن العمل مرهقًا بقدر ما كانت الرسالة التي وصلته من خطيبته هالة.

ما عدت أقدر أكمّل، تعبنا كثير، وأنا محتاجة أستقر مع حد مستعد يضمن لي حياة مريحة... آسفة.

لم تكن مفاجأة تمامًا، لكنه كان يُراهن على حبها... على صبرها.

أغلق هاتفه دون رد. وقف أمام المرآة طويلًا. لم يكن ينظر لوجهه، بل لخيباته المتراكمة خلف عينيه.

مشكلتي إني دايمًا باحاول أكسب اللي مش شايفني.

قالها لنفسه، وخرج من الغرفة... لم يعد يشتهي البقاء.

في الغرفة ذات الإضاءة الخافتة، جلست سما وسط أكوام من الكتب والمذكرات.

السابعة عشر من عمرها، لكنها تحمل على كتفيها ما لا تحمله نساء ناضجات.

الامتحانات بعد أيام، والقلق لا يرحم.

صفحات متداخلة، كلمات لا تترسخ، والوقت يمر كأن الزمن يتسابق معها ليهزمها.

كانت والدتها تمر أحيانًا، تضع الطعام دون أن تسأل:كيف حالك؟.

كل ما يُقال هو:ذاكري كويس... ما فيش وقت.

لكن الوقت لم يكن أزمتها الحقيقية...

الخوف هو العدو.

خوف من الفشل، من خيبة الأمل، من ألا تكون الابنة المثالية كما يظنون.

في منتصف الليل، بكت.

ليس من سؤال صعب، ولا من نقص في المعلومات، بل من وحدة غريبة تحاصرها رغم الضجيج.

كتبت في دفترها الصغير:أنا مش مجرد درجات... نفسي حد يشوف إني بتألم... مش بس طالبة لازم تنجح.

أغلقت الكتب، حدّقت في سقف الغرفة، وغفت وعيناها متورمتان من البكاء.

في ركنٍ بعيد من صالة البيت، جلس الحاج سعيد على كرسيه الخشبي المتهالك، يتابع بعينيه المتعبتين حركة أفراد العائلة وهم يمرّون أمامه دون أن يلاحظوه.

عمره تجاوز السبعين، لكنه لا يذكر آخر مرة شعر فيها أنه جزء من هذا البيت.

زوجته توفيت قبل ثلاث سنوات، ومنذ ذلك الحين، أصبح وجوده شفافًا.

أبناؤه مشغولون بحياتهم، وزوجات أبنائه يتحدثن بصوت منخفض إذا مرّ، وكأن وجوده يسبب لهن الحرج.

حفيده الصغير لا يعرف حتى كيف يناديه، فقط يقول:

العجوز ده مين؟

يحاول أن يشارك في الأحاديث أحيانًا، لكنه يُقاطع قبل أن يُكمل جملته.

لا أحد يسأله: "عايز حاجة يا حاج؟"،

رغم أن ما يريده بسيط جدًا: أن يُشعره أحدهم بأنه لا يزال حيًّا.

في الليل، جلس أمام صور قديمة، يظهر فيها شابًا قويًا وسط زوجته وأطفاله الصغار...

تنهّد وقال:كنت عمود البيت... دلوقتي بقيت قطعة أثاث مهملة.

في اليوم التالي، نزل إلى المسجد باكرًا. جلس طويلًا بعد الصلاة، لا يريد العودة بسرعة.

ففي المسجد على الأقل، يُقال له: السلام عليكم يا حاج... كيف حالك؟

لم تكن سهير قد أمضت أكثر من أسبوعين في بيت رهف حتى بدأت تشعر أن الغربة تتسرب إلى روحها مجددًا. في البداية، بدا الأمر وكأنه فسحة للراحة والهروب من قبضة فهد ونظرته الثقيلة، لكن وجود راكان، شقيق رهف، سرعان ما شوّه هذا الأمان المؤقت.

راكان لم يكن مباشرًا بإساءته، بل كان يختبئ خلف الكلمات المغلفة بالسخرية، النظرات التي تحمل تهكّمًا، والمواقف التي تتركها محاصرة بالحرج والخذلان.

في إحدى المرات، قال لها ببرود وهو يمر بجانبها في المطبخ:بعض الناس ما ينفع لهم بيت غريب... يا يرحلوا برضاهم، يا يندموا.

تجاهلت، مرّة واثنتين... لكن القسوة المتكررة أنهكتها.

حتى رهف، رغم طيبة قلبها، لم تلاحظ كم كانت سهير تنهار من الداخل.

وفي إحدى الليالي، جلست سهير على السرير، تمسك حقيبتها الصغيرة، عيناها حائرتان ويديها ترجفان.

همست لنفسها:أنا مش ضعيفة... بس تعبت. يمكن بيت خالي، رغم كل شيء... أهون.

صباحًا، كتبت لرهف ورقة صغيرة:شكراً على كل شيء. أنتي أطيب من عرفت، بس مش قادرة أكمل هنا. سامحيني.

عادت إلى منزل خالها. لم تكن تعلم ما ينتظرها، لكن رغم خوفها، شعرت براحة صغيرة تتسلل إليها.

على الأقل... تعرف هذا الجحيم.

دخلت بهدوء، قابلتها نظرات الدهشة، ثم الاستفهام...

لكنها لم تنطق بكلمة، فقط صعدت إلى غرفتها وأغلقت الباب خلفها، تأخذ نفسًا عميقًا وكأنها كانت تحبسه منذ أيام.

الساعة كانت تقترب من السادسة صباحًا، والبرد يلف جدران الشقة الصامتة.

نهضت ندى من على الأريكة، حيث كانت تنام بجوار ابنها سليم، الذي ضمّته ليلًا وهي تبكي بصمت.

غلت الماء سريعًا، أعدّت الحليب وسندوتشًا صغيرًا بالكاد يكفيه، ثم أيقظته برقة:يلا يا قلب ماما، قوم علشان تروح الحضانة.

سليم لم يفتح عينيه، فقط تمتم:ماما، أنا مش عايز أروح... حضانة زعلتني.

ابتسمت رغماً عنها. تعلم أنه يتعرض للإهمال من المربّيات، لكن لا حيلة لها. يجب أن تعمل، يجب أن تُطعم ابنها.

ارتدت ملابسها البسيطة بسرعة، لفت الطرحة على عجل، وحملت حقيبتها وابنها معًا كأنها تحمل العالم فوق كتفيها.

في الطريق، كانت تنظر للأرض. لا تحب نظرات الرجال، ولا نظرات النساء. الأولى مشتهية، والثانية مشككة.

كلهم يرون فيها المطلقة، لا الأم.

في العمل، كانت تبذل جهدًا مضاعفًا لتُثبت أنها محترمة وملتزمة، رغم أن لا أحد سألها إن كانت منهكة.

لكن في ذلك اليوم، جاءها اتصال.

صوت المربّية مرتبك:ابنك سليم بيعيط من الصبح ومش راضي يهدى... لازم تيجي تاخديه.

اعتذرت من مديرتها، لكن الأخيرة رمقتها بجمود:مش أول مرة يا ندى. إحنا شركة مش حضانة.

عادت ندى تحمل طفلها وهي تكتم دموعًا حارقة. جلست به على الرصيف، لا تدري إلى أين تذهب.

أخذت نفسًا عميقًا، وقالت لسليم:خلاص يا حبيبي... ماما هتلاقي حل. لازم نلاقي.

فاجأها برده:أنا هكبر واشتغل علشانك يا ماما.

انهارت الدموع من عينيها، لكنها ضحكت بين دموعها، وضمّته بقوة:إنت سندي... إنت اللى مخليني أقف على رجلي.

في المساء، عادت للبيت، جلست تكتب إعلانًا على ورقة:

مربية أطفال موثوقة، وأم.

ستبدأ من جديد... من البيت... بقوة الأم، وصبر الأنثى، وعزيمة من لا يملك خيارًا آخر.

بعد أن أغلقت الباب، شعرت أن الزمن انقلب.

الفوضى تملأ المكان، ملابس رجالية مرمية على السرير، عطر غريب يعبّق الأجواء، وحرارة تخرج من الحمّام وكأن أحدهم يستحمّ للتو.

خطت خطوة للخلف، تنوي الانسحاب، لكن قبل أن تُدير ظهرها، فُتح باب الحمّام... وخرج شاب عاري الصدر، يلف منشفة على خصره، يقطر الماء من شعره، وعيناه تلتقي بعينيها بدهشة.

هي تجمّدت.

هو تفاجأ.

لكنها، بعين ممتلئة بالدموع، صرخت:إنت مين؟! دي غرفتي! أنت بتعمل إيه هنا؟!

رد ببرود غير متوقع:أنا أسكن هنا من فترة. خالك هو اللي قال لي أستخدم الغرفة مؤقتًا.

الغضب تملّكها، شعرت أن كرامتها دُعِسَت، أن غربتها في هذا البيت ما زالت مستمرة، حتى غرفتها لم تعد مكانًا آمنًا.

صوتها علا:أنا ساكنة هنا من قبل ما أنت تفكّر تدخل البيت! ومين سمحلك تتصرف كده؟!

دخل فهد على الصوت، وكان وجهه عابسًا كعادته، نظر إليها بنظرة حادة ثم قال:لو مو عاجبك، الباب مفتوح يا سهير.

عيناها احمرّتا، ليس فقط من الغضب، بل من الخذلان.

هي لم تطلب الكثير... فقط زاوية في بيت لا تشعر فيه بالغربة.

لكن يبدو أن حتى ذلك كثير عليها.

في تلك الليلة، جلست سهير تبكي بصمت خلف الباب، تفكر في أين يمكن أن تذهب.

ليس لها مكان، ولا سند، ولا احترام في هذا البيت.

والشاب الجديد في الغرفة... كأنه رسالة أن لا مكان لها، لا حتى بين الجدران التي كانت تعتقد أنها تعرفها.

سعد كان جالسًا على الكنبة في مكتب فهد، يهزّ رجله بعصبية واضحة، وصوته منخفض لكنّه حاد:أنا مثلت الدور زي ما قلتلي... دخلت الحمام وخرجت قدامها وكأني قاعد في أوضتها من زمان. بس حرام، البنت اتصدمت، كانت هتعيط وهي واقفة... إزاي قلبك يسمح؟

فهد كان واقفًا عند النافذة، ينظر بعيدًا بصمت. ظهره مشدود، لكن عينيه فيها قلق خفي.

هي مش قد كده ضعيفة زي ما باين... بتعرف تلاعب اللي حواليها، وعارفة تاخد اللي هي عايزاه. وأنا مش هسيب لها فرصة تتحكم في البيت زي ما عملت أمها زمان.

سعد، وقد زاد غضبه:يعني تعاقبها على ذنب غيرها؟! دي بنت تايهة ومكسورة، مش لازم نزيد عليها كمان. أنا حاسس بالذنب من ساعة ما شفت عينيها.

فهد لفّ بسرعة وقال بحدة:متدخلش في اللي مالكش فيه يا سعد. أنا عارف أنا بعمل إيه.

سعد وقف، وجهه محمر:لا، يا فهد... أنت مش عارف. أنت بتغرق في كرهك للبنات، للي خانتك، للناس كلها، وبتجرّ معاهم ناس ملهاش ذنب. البنت دي غلبانة... وساكتة. وده أكتر حاجة بتوجع.

ساد الصمت لثوانٍ.

فهد جلس على طرف المكتب، صوته نازل:مش قادر أثق... لا فيهم ولا في دموعهم. البنت دي... وجودها بيقلب عليّا الدنيا كلها.

سعد نطق بهدوء وهو يلتقط أنفاسه:يمكن عشان أول مرة تحس إنك غلطت... وإنك جرحت حد فعلاً ما يستاهلش.

دخلت سهير غرفتها بعد أن هدأت العاصفة، لكن قلبها كان لا يزال في فوضى. لم تنس نظرات ذلك الشاب الغريب، ولا نظرة فهد التي كانت كالسيف، حادة ومليئة بالازدراء.

جلست على طرف السرير، تحتضن وسادتها كأنها تبحث فيها عن دفء مفقود. همست لنفسها:أنا اللي غلطانة... كنت فاكرة لما أرجع هنا ألاقي حتة صغيرة أحس فيها بالأمان. حتى غرفتي ما بقتش ليا.

صوت الضحكة من الخارج جعل قلبها يرتجف. كان سعد يضحك مع أحدهم، وسمعت اسمه يتكرر. ارتبكت... سعد؟ أهو الشاب اللي رأته؟ كيف وصل إلى غرفتها؟ وهل كان كل شيء مخططًا؟

شعرت بالقهر أكثر مما شعرت بالخوف.

كانت وحيدة، في منزل لا أحد فيه يسمع أنينها، ولا يحترم خصوصيتها.

أخرجت هاتفها وفتحت دردشتها القديمة مع رهف، كتبت رسالة طويلة ثم مسحتها، وكتبت فقط:أنا مش كويسة يا رهف... مش مرتاحة خالص.

أغلقت الهاتف، ومدّت جسدها على السرير ببطء.

لأول مرة منذ مدة، شعرت أن الهواء ثقيل... كأن الجدران تُراقبها، وكأنها لم تعد تملك حتى حق الغضب.

كانت الشمس على وشك المغيب حين دخل خالها عليها وهو يجر حقيبة سفره بعجلة، وجهه مرهق ونبرته جافة:

سهير... أنا مسافر ضروري. عندي شغل في الدمام، وممكن أتأخر.

شهقت:بس أنا... أنا لسه جاية، ولسه بتأقلم.

لم يلتفت لنظرتها، فقط ترك جملة مقتضبة:فهد موجود، لو احتجتي حاجة كلميه.

وقبل أن تستوعب الأمر، كان الباب قد أُغلق خلفه، وصوت المحرك يبتعد رويدًا عن البيت.

كانت وحدها... ومع فهد.

في اليوم التالي، طرق فهد باب غرفتها طرقًا عنيفًا، كأن لا شيء تغيّر منذ ليلة الانفجار.

تعالي... وقّعي على شوية أوراق للبيت والشقة. خالك قال نخلّصهم بدري.

نزلت دون رغبة، وجلست على طرف الطاولة، تنظر إلى الأوراق أمامها.

صفحات كثيرة، كلمات قانونية، توقيعات ناقصة.

يعني إيه دول؟

قال ببرود:تعديلات على الإيجار وبعض التوكيلات... حاجات إدارية، مالكيش دعوة.

نظرت إليه بريبة:بس المفروض أقرأ.

قطعها بنبرة آمرة:وقّعي يا سهير. ما فيش وقت للهبل ده.

ترددت، لكنها وجدت نفسها تمسك القلم. شيء بداخلها كان يخبرها أن هناك خطأ، لكن خوفها منه كان أكبر من اعتراضها.

مرت ثلاثة أيام بعدها، ولم يظهر سعد.

سألت عنه الخادمة، فقالت إنه خرج منذ يومين ولم يعد. هاتفه مغلق.

حتى مهاب لا يعلم مكانه.

بدأت الوحشة تحيط بقلبها كغيمة سوداء. فهد لا يكلمها إلا بجفاف، لا أحد يطرق بابها، ولا رسالة واحدة على هاتفها تبشر بالخير.

وفي إحدى الليالي، وهي تهمّ بالنوم، سمعت خطوات ثقيلة تتوقف أمام غرفتها...

ثم طرق خفيف...

ثم صمت طويل...

ثم صوت فهد:بكرا عندنا مشوار... البسي كويس.

في الصباح، استيقظت سهير على صوت طرق قوي على الباب.

فهد قال من الخارج، بصوته الجاف المعتاد:قدامك ربع ساعة. لبسي جاهز.

نهضت ببطء، لا تعرف إلى أين هي ذاهبة، لكن في داخلها قلق لم تستطع كتمانه.

ارتدت عباءتها السوداء، لفت شالها حول رقبتها، ونزلت بهدوء.

وجدته ينتظرها في السيارة، لا ينظر لها، ولا يتكلم.

الطريق كان صامتًا، كل شيء ساكن، سوى صوت عجلات السيارة على الأسفلت.

إحنا رايحين فين؟

لم يرد.

زادت ضربات قلبها. الأماكن التي يمرّ بها لم تكن مألوفة، واللوحات على الطريق تُشير إلى منطقة شبه صناعية.

توقفت السيارة أمام مبنى متوسط الحجم، لا يحمل لافتات واضحة، لكنه محاط بسياج حديدي وحراس عند البوابة.

نزل فهد، وقال بجفاف:اتبعيني.

دخلت خلفه إلى مكتب أنيق، فيه رجل يبدو في الأربعين، يرتدي بدلة رمادية، ونظرة تقيّمها من رأسها حتى قدميها.

أهلاً، سهير... كنتِ متوقعة تيجي لوحدك، بس ماشي. معانا فهد.

نظرت إليه باستغراب:إحنا فين؟ وده إيه؟

فهد قال ببرود، دون أن ينظر إليها:إنتي شريكة في وحدة عقارية من يومين. وقّعتي على الأوراق.

شهقت:إيه؟! إيه الكلام ده؟!

الرجل ابتسم:الملكية اتنقلت، وانتي دلوقتي مساهمة في مشروع بناء. بس طبعًا اسمك رمزي، مش رسمي. وإحنا محتاجين توقيعك النهائي هنا.

التفتت نحو فهد بصدمة:استغليت توقيعي؟! ده نصب!

فهد قالها ببرود:مش نصب، ده عمل... وده مقابل سكنك عندنا، ورعاية خالك ليك.

عيونها امتلأت بالدموع، لكنها مسحتها بسرعة، وقالت:

يعني أنا مش أكتر من ورقة في لعبتك؟!

ثم نهضت وقالت:مش هوقّع على حاجة تانية... حتى لو طردتني في الشارع.

فهد تقدم خطوة نحوها، لكن عينيه خفت فيهما النار، كأن شيئًا فيها بدأ يهز قناع الجمود.

اعملي اللي يعجبك.

في السيارة، كان الصمت مسيطرًا، لكن قلبها ينبض بغضب وقهر.

مها: فتاة في منتصف العشرينات، طيبة، خجولة، تُحب في صمت، وتُقابل دائمًا بالخذلان من أهلها.

زينة: الأخت الصغرى، جميلة وجريئة، مدللة رغم قسوتها، تُعاني من عقدة تجاه مها وتحب مضايقتها.

الأم والأب: يعاملان مها كأنها عبء، يسخران منها باستمرار، ويُفضّلان زينة في كل شيء.

رائد: الشاب الذي كانت مها تحبه ويحبها، لكن العائلة أصرّت أن يتزوج زينة بدلًا منها.

رائد بعد الزواج: يعيش مع زينة في بيت واحد، لكن قلبه لا يزال معلقًا بمها، ويشعر أنه خُدع.

مها نشأت في بيت بارد، لا يحتويها. كانت دومًا الخادمة الصامتة في عيون أهلها. كل إنجاز تحققه يُقلّلونه، وكل ضعف تبديه يُسخّرون له اللوم والتهكم.

رائد، جارهم، كان نورًا صغيرًا في عالمها المعتم. أحبها بصدق، وكانت تراه رجل أحلامها.

لكن عندما قرّر التقدم لها، انقلب كل شيء.

قالت له الأم بوضوح:مها؟! إنت مجنون؟ دي ما تنفعش حتى خدامة في بيتك. زينة أحسن وأشيك وأصغر!

وبضغط العائلة، وبحيلة دبرها الأب بأن مها لا تريد الزواج الآن، اقتنع رائد مضطراً بالزواج من زينة، خاصة بعدما أوحت له زينة أن مها كانت تراه مثل الأخ.

في يوم زفاف زينة، جلست مها في غرفتها تبكي بصمت، تُقلب صورها مع رائد، بينما أصوات الأغاني ترتفع في المنزل.

زينة، حتى بعد الزواج، لم تترك مها وشأنها. كانت تدخل عليها لتقول بسخرية:عارفة، رائد بيحب الحنية... عشان كدا أنا عوضته، إنتي عمرك ما تعرفي تحتضني حد.

ورائد، بعد فترة، بدأ يلاحظ الحقيقة. زينة قاسية، متكبرة، لا تبادله المودة.

وفي لحظة انفعال قال لها:لو كنت تزوجت مها، كان زماني بخير!

كانت مها تتذكر عندما كانت في الثالثة عشرة من عمرها، تحمل حقيبتها القديمة بإحكام، وتخفي بداخلها دفترًا مزينًا برسوماتها البريئة. كانت تحب المدرسة، كانت تجد في الحروف ملجأً وفي الأرقام تحديًا، تحلم أن تصبح طبيبة أو كاتبة، فقط لتُثبت لنفسها أنها تستحق الحياة.

لكن في ذلك اليوم، عاد والدها إلى المنزل، وجهه عبوس وصوته حاد:من بكرة ما تروحيش المدرسة. خلّيكي في البيت تساعدي أمك. العلم ما ينفعك، إنتي مش قد زينة.

تجمدت الكلمات في حلق مها، نظرت لأمها، لعلها تتدخل، لكنها فقط هزت كتفيها وقالت:زينة أشطر، وإنتي تعبتي دماغنا. خلي الشطارة لأهلها.

في اليوم التالي، كانت زينة تقف أمام الباب، تمسك بشهادة تفوقها بيد، وباليد الأخرى تمسك قطعة شوكولاتة فاخرة، تضحك وتتفاخر:أنا جبت امتياز! شفتِ الفرق؟ أنا اللي أستاهل أكمّل.

ومها؟

كانت تجلس على الدرج، تنظر إلى الحقيبة الملقاة بجانبها، وإلى الكتب التي لم تُقرأ بعد.

عيناها جافتان من الدموع، وكأن الحزن غطّى حتى قدرتها على البكاء.

سمعت والدتها تهمس لجارتهم:زينة دي حظها حلو، أما مها... خليها في البيت، يمكن تتعلم الطبخ أحسن.

ومنذ ذلك اليوم، ماتت الأحلام الصغيرة في قلب مها، لكنها لم تُدفن... بل كبرت معها، في صمت.

في إحدى الأمسيات، كان مهاب جالسًا مع خطيبته ليلى في مقهى هادئ، يتأملها وهي تقرأ قائمة الطعام بتركيز شديد، فابتسم بمكر وقال:هو إنتي ناوية تطلبي الأكل ولا تعملي عليه دراسة جدوى؟

رفعت ليلى عينيها بحدة، ثم تجاهلته، فقال متصنعًا الجدية: بقولك إيه، لو فضلتي كده هطلبلك شوربة سعادة... يمكن تبتسمي شوية!

ضحكت، فردّت عليه:وسيبك من الأكل، ما تعمل دراسة جدوى على عقلك يمكن نلاقي له استثمار!

ضحك الاثنان، وظل مهاب يغازلها بإشارات خفية أمام النادل، فتضربه بخفة وتقول: هتقلبها فيلم مصري ولا إيه؟!

وفي الجهة الأخرى، كان فهمي جالسًا مع صديقه هاني على الرصيف قرب الحارة، يمسكان كوبَي شاي ويشاهدان المارة.

قال هاني: شايف البنت دي؟ كانت بتعجبك زمان.

رد فهمي وهو يرتشف الشاي: زمان كنت غبي... دلوقتي بقت هي اللي تعجب بجاري!

هاني ضحك حتى كاد يوقع الشاي على بنطاله وقال: يعني دلوقتي بتفكر بعقلك؟

قال فهمي: لأ... بتفكرني المحفظة فاضية، يبقى لازم أفكر بمعدتي!

كان حاتم واقفًا على باب بيته، يحاول تركيب لمبة جديدة للمدخل، وفجأة سمع صوت عم راضي، جاره الستيني، يناديه من الشرفة:هاتم! إنت بتركب لمبة؟ ولا بتجهز عرس؟

حاتم ضحك ورد: لا يا عم راضي، العرس لو حصل هبقى أول واحد أبلغك، وتجهز الطبل!

عم راضي نزل فورًا بدرعه الشتوي وقال وهو يراقب اللمبة: دي مش هتقعد شهر... دي صينية! الكهربا عندنا بتكهرب الكهربا نفسها.

رد حاتم وهو يضحك:ما هو أنا لما شفت الكهربا جايه من الشارع، قلت أنوّر المدخل قبل ما تهرب تاني.

قال عم راضي وهو يشير إلى لمبة بيته:أنا عندي لمبة من أيام عبد الناصر... بتشتغل لما بتزعل، وتطفي لما تفرح!

كانت الشمس بدأت تميل، والهواء فيه نسمة خفيفة. جلس حاتم على الطبلية الخشبية القديمة أمام باب البيت، وهو يوزّع أكواب الشاي على فهمي وهاني، بينما عم راضي وصل متأخرًا وهو يجرّ كرسياً بلاستيكياً ويقول:يا ولاد، الشاي ده فيه سِر؟ ولا أنا آخر واحد بيوصل دايمًا؟!

رد حاتم وهو يضحك: إحنا بندي الشاي للي يستحقه يا عم راضي... مش للي بيسأل عن الكهربا أكتر من الحكومة.

ضحك فهمي وأضاف: هو عم راضي عنده عداد جواسيس... عارف مين دخل ومين خرج قبل ما البوّاب يشوفهم!

عم راضي رفع صوته وقال: أنا بحب أتابع أحوال الناس... أصل الحارة دي لو سبتها، تبوظ.

هاني قال وهو يضرب على ركبته: عم راضي لو مسك الحارة، هيلغي المرور ويعمل بدلها لجنة تفتيش على القعدة!

حاتم ابتسم وقال: هو عم راضي لو بقى رئيس الحي، كل واحد لازم يسجل يومياته في دفتر يسلمه كل آخر أسبوع.

فهمي قال وهو يتصنع الحزن: وأنا أول واحد هيتحبس... أصل حياتي مليانة بلاوي!

انفجروا جميعًا ضاحكين، وبين كل نكتة وأخرى، كانت تمرّ نسمة دافئة تعكس جو الألفة بينهم.

عم راضي قال بنبرة خفيفة: أنا بحبكم يا ولاد... بس لو الكهربا قطعت، هقطع الشاي ده من عندكم!

في صباح يوم هادئ، كانت رهف تحاول تجهيز الفطور في المطبخ، بينما راكان دخل يبحث عن شيء يأكله وهو يقول:فين القهوة؟! حاسس إن يومي هيبوظ من غيرها!

ردت خالته، أم نوال، وهي تخرج العجين من الثلاجة: القهوة في قلبك يا راكان... بس إحنا النهارده بنشرب يانسون، عشان المعدة تعبانه.

رهف حاولت كتم ضحكتها، فقال راكان: يانسون؟ طب خلاص، اتأكدت إن الحياة مش ماشية تمام.

ثم اقترب من رهف وهمس: بتضحكي؟ دي خالتك عاملة انقلاب صحي في البيت!

أم نوال رفعت الملعقة وقالت: هتقلبوا البيت ضحك؟ تعالوا ساعدوني بدل الهدرة، بدل ما أسيبكم على فطور صحّي فيه فجل وجرجير!

بعد أسبوع من البُعد، والشوق اللي ما اتقالش، بتكون نور ماشية في شارع كانت دايمًا بتقابله فيه.

شرودها بيقطعه صوت هوَ نسِيته... أو بتحاول تنساه.

مالك بصوت واطي: نور...

وقفت، خبط قلبها، بس رفعت حاجبها بتماسك: نور: نعم؟ عاوز إيه؟

ما قالش ولا كلمة، بس طلع من ورا ضهره باقة ورد بيضاء، نفس النوع اللي بتحبه... ونفس اللي جاب لها أول مرة حبّها.

نور بصّت له، ملامحها متجمّدة، بس عنيها... عنيها كانت بتحارب الدموع.

كل الورد اللي شُفته بعدك ذبل... وانتي بس اللي كنتي بتخلي الحاجات تعيش.

نور:ليه دلوقتي؟

مالك:لأن قلبي وقف عندك... وكل الطرق رجّعتني ليكي.

تسكت، تبص في الأرض، وبعدين تقول:أنا تعبت... تعبت من إني دايمًا أبان قوية، وأنا بانهار من جوايا.

يمد إيده، يحط الورد في إيدها، ويقول:يبقى خليني أشيل معاكي... يمكن نرجّع لبعضنا الحتة اللي ضاعت.

كانوا قاعدين في كافيه صغير، مريم لسه مش مقتنعة ترجع له، بس قبلت تقابله.

حاتم بيلعب في المعلقة، وعينه على مريم:بصيلي كدا... كأنك بتحبيني!

مريم ببرود مصطنع:ببص على القهوة اللي بردت، مش عليك.

حاتم ضاحك:بردت؟ طب ليه قلبي لسه مولّع؟

مريم رافعه حاجبها:مولّع؟ من كتر الكدب ولا الغزل اللي بتوزعه في الشوارع؟

حاتم يميل عليها شوية:غيرانة؟ اعتراف حلو يا مريم...

مريم تبتسم بس تحاول تخبيها:أنا؟ أغير؟! انت آخر واحد ممكن أغار عليه، يا شاعر البنات.

حاتم:أنا شاعر واحدة بس... واحدة بتتقل عليا دلوقتي.

مريم بحركة مفاجئة:هات تليفونك.

حاتم بتوتر بسيط:ليه؟

مريم:عاوزة أعملك حظر من كل البنات اللي بتضحك على جملك... علشان تتعلم الأدب.

حاتم يرفع إيديه باستسلام:خلاص يا ستي، حظّريني، اربطيني، بس ما تبعديش.

مريم تاخد نفس وتبص له، ووسط الجد والهزار، تقول له بهدوء:أنا لما بحب... بحب بجد، وحبي مش لعبة.

حاتم بصوت واطي:وأنا عمري ما لعبت بيكي... أنا كنت بلعب بالنار، ولما بعدتي اتحرقت.

كانت سهير تتابع أحد المقاطع المضحكة ومستمتعة فجلس فهد بجانبها ووضع يده على كتفها فضمها بشده وهي تحاول التخلص منه فهمس في اذنها حابه تموتي زي ابوكِ ولا تتجوزي مدمن زي أمك. فشعرت بالخوف وهي تدفعه ولكنه يضمها بشده ورائحته مقرفه فانهال عليها بالتقبيل ومزق فستانها وهي تصرخ فضرب رأسها وافقدها الوعي،وبعد أن اعتداء عليها تركها وغادر .

أفاقت سهير بصعوبة، رأسها يطنّ كطبول بعيدة، والغرفة تدور حولها ببطء كأنها سفينة تغرق. كان جسدها مُنهكًا، باردًا، وشيء ما في داخلها يصيح، يصرخ، يئنّ. حاولت أن تتذكر ما حدث... ضباب، ثم وجه فهد الغاضب، كلماته التي اخترقت صدرها كسهام... ثم لا شيء.

نظرت حولها بذهول، المكان فوضوي، وكل شيء يدل على أن الليلة لم تكن عادية. ارتجفت، ودمعة ثقيلة سقطت دون إرادة، تبعتها أخرى، حتى غطّت الدموع وجهها بالكامل. لم تصرخ، لم تنهار... كانت فقط صامتة، كأن روحها خرجت منها وبقيت ممددة بجسد بلا نبض.

حاولت أن تنهض، أن تستجمع نفسها، لكن الألم كان أعمق من أن يُحتمل. لم يكن ألمًا جسديًا فقط، بل شيء يشبه الطعنات في كرامتها، في ثقتها بنفسها، في أمانها الذي انكسر.

وقفت بصعوبة، وعرفت أنه اغتصبها فظلت تبكي وتصرخ وتلطم وجهها، دخلت سهير الحمام بخطوات متعثرة، وكأن كل خطوة تفضح وجعًا دفينًا لا يُحتمل. كانت يداها ترتعشان، وعيناها مفتوحتين على اتساعهما دون تركيز، وكأنها غائبة عن الواقع.

أدارت صنبور الماء، وتركته ينهمر كالمطر الغاضب. خلعت ملابسها دون وعي، ودخلت تحته، فبلل شعرها أولًا، ثم غطّى وجهها، ثم جسدها كله، لكنها لم تشعر بالدفء. الماء كان باردًا... كأنها تستحق البرودة، تستحق القسوة.

بدأت تفرك جسدها بقوة، بشراسة، وكأنها تريد أن تمحو شيئًا. تفرك جلدها حتى احمرّ، ثم حتى تألم، لكنها لم تتوقف. بل كانت تبكي بصمت، بصوت مخنوق، بين شهقات ونوبات من الرجفة. كانت تغسل جسدها... لا، كانت تحاول أن تمحو ذنبًا لم ترتكبه. أن تطرد شعور القذارة، أن تعيد لنفسها شيئًا منها ضاع.

همست بين شهقاتها:أنا مش دي... أنا مش دي يا رب... خرجني من هنا...

انهارت جاثية على ركبتيها، في زاوية الحمام، والماء ينسكب فوقها بلا رحمة. لم يكن الماء يغسل، بل كان كأنه يعاقب.

وبينما تنكمش على نفسها، شعرت أن قلبها يتفتت، وأن روحها تتمزق على مهل، وأنها للمرة الأولى في حياتها لا تريد أن تفتح عينيها من جديد.

بعد هذا الانهيار، تبدأ سهير مرحلة من الاكتئاب الحاد. تفقد الشهية، تصمت لساعات طويلة، تنعزل، وتظهر في عينيها نظرة لا ينساها من يراها. ربما تدخل المستشفى بعد انهيارها الكامل.

كان محسن يعلم أن فهد شخص متسلط، لكنه لم يكن يتوقع يومًا أن تتجرأ يده على ارتكاب هذا الفعل المشين بحق سهير. بعد أن رآها محطمة، شبه غائبة، وتائهة في عينيها، لم يتمالك نفسه. صفعة قوية سقطت على وجه فهد وهو يجلس بكل برود.

إنت إزاي تعمل كده؟!" قالها محسن والغضب يشتعل في صوته.

فهد، كأنه يتلذذ باستفزازه، مسح أثر الصفعة بابتسامة ملتوية وقال: عادي... مراتي، ومعملتش حاجة غلط.

صمت للحظات، ثم أكمل بصوت هادئ: و حتى لو عملت... هي مش ملكي؟

هنا، ساد صمت قاتل، لم يكن في الكلمات فقط، بل في الهواء المشحون الذي وقف بينهما. لكن المفاجأة لم تكن في رد فهد، بل فيما كشفه بعد لحظات:على فكرة، سهير مضت على كل حاجة... بالعقل مش بالقوة. أملاك خالها كلها باسمي دلوقتي. حتى البيت اللي ساكن فيه محسن... ليّ.

صُعق محسن. لم يكن يتوقع أن فهد لم يخطط فقط لإذلال سهير، بل كان يُحيك مؤامرة كاملة للاستيلاء على إرث خالها، مستخدمًا الزواج كغطاء، والإذلال كسلاح.

وبينما يحاول محسن استيعاب الصدمة، خرج فهد بهدوء، تاركًا وراءه بابًا مواربًا من الأسرار... من أين حصل على تلك السلطة؟ وهل حقًا هناك زواج قانوني؟ وهل وقّعت سهير وهي مدركة لما تفعله؟

ومع اختفاء سعد الغامض، وابتعاد كل من يستطيع حمايتها، أصبحت سهير وحدها في عين العاصفة، ومحسن أمام مفترق طرق: إما أن يصمت... أو أن يبدأ معركة قد تكلفه أكثر مما يتصور.

في صباح رمادي، وصلت حورية وزوجها إلى بيت فهد دون سابق إنذار، محمّلين بالهدايا والابتسامات. بدا فهد متوترًا، وكأنه فوجئ بزيارتهم رغم محاولته إخفاء ذلك. سألته حورية عن سهير، فتلعثم قليلًا وقال:راحت تزور قريبتها... يمكن تتأخر شوي.

لكن الأيام مرّت، ولم تعد سهير، ولا أحد أجاب على هاتفها، حتى أمها لم تسمع صوتها منذ فترة.

شعرت حورية أن هناك أمرًا مريبًا. بدأت تلاحظ أمورًا غريبة في البيت؛ غرفة سهير مقفلة دائمًا، فهد يتجنب الحديث عنها، وصوت زوجها يقول:فيه حاجة غلط... الست كانت موجودة واختفت فجأة، وإنتَ مش طبيعي.

في أحد الليالي، تسللت حورية إلى غرفة سهير، وبعد محاولات عديدة تمكنت من فتح الباب، فوجدت الغرفة باردة، لا أثر لسهير سوى وشاحها المفضل على السرير، وعطرها الخفيف لا يزال عالقًا في المكان.

في تلك الليلة المظلمة، جلس راكان في سيارته يراقب عن بعد، يشعر أن هناك شيئًا لا يُقال. رأى فهد يخرج من المنزل وهو يجرُّ جسد سهير كأنها دمية، ممددة بلا حراك، ملامحها شاحبة، لم تقاوم. وضعها في المقعد الخلفي للسيارة وأغلق الباب بعنف.

دقّ قلب راكان بسرعة، شعر بشيء سيئ يحدث.

دي مش نائمة... دي مصدومة أو أسوأ!

بدأ يتتبع فهد على مسافة حذرة، دون أن يُلاحظ. توقفت سيارة فهد عند كوخ مهجور على أطراف المدينة، نزل بمفرده وسحب جسد سهير إلى الداخل، ثم أغلق الباب.

انتظر راكان دقائق طويلة، يختنق فيها القلق، ثم غادر فهد الكوخ بعد وقت قصير وهو يغلق الباب بالمفتاح.

لم يكن يعلم أن عينًا تراقبه...

بعد تأكده من ابتعاد فهد، هرع راكان نحو الكوخ، كسر القفل ودخل مسرعًا. وجد سهير ملقاة على الأرض، مغطاة بالكدمات، فستانها ممزق، نظراتها زائغة، لكنها حيّة.

اقترب منها بخوف وحنان:سهير؟ سهير تسمعيني؟ أنا راكان... حاكون معاك، مش حسيبك.

فوجئ بدمعة انزلقت من طرف عينها، وارتعاش خافت في يدها. كانت تعي وجوده... لكنها لا تقوى على الكلام.

راكان حملها بين ذراعيه بقوة وإصرار، وكأنها أمانة قرر ألا يفرّط فيها.

هرب بها إلى منزل صديقه القديم، طبيب متقاعد، طلب منه المساعدة دون أن يخبره كل شيء. هناك بدأت سهير تستعيد وعيها ببطء، وسط أمان لم تعرفه منذ زمن.

بدأ راكان يراها بنظرة مختلفة، رأى فيها الضعف الذي يحتاج إلى حنان، والشجاعة التي قاومت القهر. أما سهير، فمع كل لحظة استيقاظ... تلمح في عينيه شيئًا لم تعرفه من قبل: احترام... واهتمام حقيقي.

لكن راكان يدرك أن إنقاذها الحقيقي لن يكون من الكوخ... بل من الماضي الذي خلفته وراءها، ومن فهد الذي لن يرضى بالهزيمة.

جلست مها على طرف سريرها، في تلك الغرفة الضيقة التي بالكاد تتسع لذكرياتها، وهي تمسك بكوب من الشاي البارد لم تتذكر متى أعدّته. عينها كانت معلّقة بضحكة زينة التي تصدّرت شاشة الهاتف في صورة حديثة من حفل الزفاف. نفس الضحكة... نفس الغرور... وكأنّ شيئًا لم يتغير.

مرّت لحظة صمت ثم انزلق بصرها نحو زاوية الغرفة، حيث خبّأت في صندوق قديم شهادة نجاحها الوحيدة... الصف الخامس. شدّت الغطاء ببطء كأنها تنبش جرحًا مدفونًا، وأخرجت الورقة التي اصفرّت حروفها مع الزمن.

عادت الصورة في ذهنها واضحة:في الماضي...

كانت مها في العاشرة، تمسك بحقيبتها المدرسية وتبكي، بينما والدها يصرخ قائلاً:مدرسة؟! على إيه؟ خلّيكي تساعدي أمك في البيت، مش ناقصين مصاريف!

وزينة، التي تصغرها بسنتين فقط، وقفت وهي تضحك، تمسك بشهادتها وتلوّح بها أمام عينيها قائلة:شايفة؟ أنا نجحت وانتِ لا، أنا هكمل وهبقى أحسن منك!

كانت الأم تبتسم بفخر لزينة، وتقول لمها دون أن تنظر نحوها:خليكي نضيفة ومطيعة، التعليم مش ليكي.

في الحاضر

ضغطت مها على الشهادة القديمة بقوة حتى تجعدت بين أصابعها، ثم رمتها أرضًا.

همست كأنها تعاتب نفسها:كنتِ صغيرة، بس كانوا كبار... وما رحموا قلبك.

نظرت من النافذة، وعيونها تمتلئ بالدموع، ليس حزنًا فقط، بل شعورًا بالخذلان المتراكم... من العائلة، من الحب، من الحياة.

وفجأة... رنّ هاتفها برسالة جديدة.

كان الرقم غير مسجل، لكن الرسالة قصيرة:أنا آسف، كنت غلطان...

اتسعت عيناها... القلب ارتجف، هل يُمكن أن يُصلح الحاضر ما أفسده الماضي؟

أم أن الجراح التي تُزرع في الطفولة لا يُمكن انتزاعها بسهولة؟

جلست مها تحدق في الهاتف، تردد الرسالة بين شفتيها كأنها لا تصدق:أنا آسف، كنت غلطان...

من يكون؟ أي خطأ؟ وفي أي زمان؟ لكنها لم تملك الشجاعة لتمسح الرسالة... كأنها كانت تنتظر شيئًا كهذا، رغم سنوات الصمت.

بعد يومين، جاءت رسالة أخرى:أنا سامي، كنت زميلك زمان في الدكان... وكنت بحبك، بس خفت وما عرفتش أقول. بس لما شفتك في فرح زينة... افتكرتك، وافتكرت الظلم اللي اتظلمتيه.

لم ترد مها. لكنها شعرت بشيء يتحرك في قلبها... شيء يشبه الحياة.

في اليوم التالي، دق الباب...

خرجت مها فوجدت شابًا يقف في مدخل العمارة، يحمل صندوقًا صغيرًا فيه كتب وأزهار، وحين رأته، قال وهو يخفض عينيه:مكنتش أعرف إنك ساكنة هنا، بس كنت بدوّر على عنوان قريبي... وبالصدفة شفت اسمك على الباب.

كان سامي...

لم يتغير كثيرًا، ما زال يحمل تلك النظرة الخجولة، لكن صوته فيه نبرة رجل نضج وعرف ماذا يريد.

ابتسم، ومدّ لها الوردة البيضاء من الصندوق:أنا مش جاي أفتح جرح قديم... جاي أداويه، لو تسمحيلي.

ترددت مها... لكنها شعرت بشيء دافئ يلامس قلبها المنهك.

وفي الأيام التالية، بدأ سامي يقترب... ليس بالكلام المعسول، بل بالفعل. كان يسمعها، يفهم سكوتها، ويعرف كيف يخفف ثقل الأيام عن كتفيها.

بدأت تخرج من قوقعتها، تعود إلى الرسم، وتفكر في إكمال تعليمها.

أما زينة، فقد بدأ زواجها ينهار سريعًا... الرجل الذي خطفته لم يكن صادقًا كما ظنت.

وكانت مها تنظر لكل ذلك من بعيد، دون شماتة، فقط بقلب شفي من الحقد، وتعلم معنى العدل الإلهي.

وفي أحد الأيام، جلست مها إلى جوار سامي في الحديقة العامة، بينما ابنها الصغير يلعب أمامهم.

قالت وهي تضحك لأول مرة منذ سنوات:تصدق... زمان كنت بظن إني مش هكون سعيدة أبدًا.

ردّ سامي وهو ينظر لعينيها:وأنا كنت بظن إني مش هستحقك أبدًا... بس ربنا عادل، وبيعرف يختار الوقت الصح.

الساعة تقترب من الثامنة صباحًا.

الهدوء في ممرات المدرسة متوتر، مشحون بنبضات القلوب المتسارعة.

سما كانت تمشي بخطى مترددة، تحمل في يدها دفترًا صغيرًا تلقي عليه نظرات مشتتة، وكأن عقلها يرفض استقبال أي معلومة جديدة. لم تنم جيدًا الليلة الماضية، لا بسبب عدم الاستذكار، بل بسبب ذاك الصوت المزعج داخلها: "ماذا لو نسيت؟ ماذا لو خانني عقلي؟"

دخلت القاعة... كانت المقاعد مصطفّة ببرود، تراقب الداخلين وكأنها مشهد من مسرحية مألوفة تتكرر كل فصل.

بعض الطالبات يتهامسن في قلق، وبعض الطلاب يراجعون بصوت منخفض، وآخرون ينظرون للسقف أو يغلقون أعينهم كمن يستعد لمعركة.

جلست سما، تنظر إلى ساعة الحائط. كل ثانية تمر كأنها تدق على قلبها.

تبدأ اللجنة بتوزيع الأوراق.

سُمع صوت الأوراق وهي توزّع مثل أمواج تتلاطم على شاطئ مليء بالخوف.

وضعت سما الورقة أمامها، نظرت إلى السؤال الأول...

وفجأة، الفراغ.

كأن عقلها سُحب من رأسها.

أين ذهب كل ما قرأته؟

شعرت بغصة في الحلق، وارتعاشة في يدها.

أخذت نفسًا عميقًا، نظرت من حولها، فوجدت صديقتها تجلس في المقعد المجاور، تضغط على جبهتها وتحرك شفتيها بصمت... ربما تدعو، أو تحاول استرجاع معلومة.

أحد الطلاب في الخلف طلب ورقة إضافية وهو يبتسم بثقة، بينما آخر وضع رأسه بين يديه، كأنه استسلم.

الهواء في القاعة ثقيل، والأعصاب مشدودة كوتر آلة موسيقية على وشك الانفجار.

مرّت دقائق قبل أن تبدأ سما ببطء... كلمة، ثم جملة، ثم انهمرت الأفكار، كأن صندوق ذاكرتها قد فُتح أخيرًا.

لكن الخوف لم يذهب...

الخوف لم يكن من الأسئلة، بل من التوقعات، من نظرات الأهل، من المجتمع الذي يقيسك برقْم على ورقة.

كان الجو لطيفًا في ظهيرة نهاية الأسبوع، والشارع شبه خالٍ من السيارات.

قرر الثلاثي المرح—فهمي، حاتم، وهاني—أن ينفضوا عنهم تعب الأسبوع بمباراة كرة قدم خفيفة في أحد الأزقة الواسعة.

فهمي يمسك الكرة ويصيح:اللي يجيب جولين يخسر ويشتري عصير!

حاتم يضحك: يعني أنا اللي هدفع؟ طيب بس أهو ندفّي العظام.

أما هاني، فقد أخذ موقعه كحارس المرمى، والذي كان عبارة عن حجريْن صغيرين يمثلان العارضة.

بدأت المباراة بحماس صاخب، الكل يركض بلا قواعد واضحة، والضحك يعلو المكان.

صوت ارتطام الكرة بالأبواب المعدنية، وصراخ فهمي وهو يحاول التمثيل على أنه أُصيب، أضفى طابعًا من المرح الذي يليق بمشهد حقيقي من الحارة.

وفجأة، جاءت تسديدة قوية من هاني كانت نيته أن يُسجّل هدفًا في فهمي لكن الكرة انحرفت، و"طارت" بقوة نحو الشارع العام!

صوت ارتطام قوي... ثم صراخ قصير.

ركض الثلاثة نحو مصدر الصوت، ليجدوا رجلًا مسنًا قد أصيب بالكرة على كتفه وسقط منه كيس الخضار الذي كان يحمله.

سكتوا لحظة...

نظر الرجل إليهم بنظرة غاضبة، ثم قال بنبرة ساخرة:

ربنا يسامحكم! هو أنا ناقص ضرب كمان؟

فهمي تقدّم معتذرًا:والله آسفين يا عم الحج... ما كانش قصدي خالص، الكرة خانتني.

حاتم انحنى ليلمّ الخضار المتناثر، وهاني وقف مصدومًا يكرر:أنا قلت الكورة دي تقيلة!

وبعد دقائق من الاعتذار، ابتسم الرجل وقال:بس تذاكروا كورة في ملعب، مش في نص الحارة... وبعدين هاتوا لي عصير، بدل ما أنا اللي اتصاب وأنا معدّي!

انفجر الثلاثة ضاحكين، وأقسم هاني أن يشتري له العصير و كيلو موز كمان تعويض.

استيقظت سهير ببطء، رأسها ثقيل كأن به آلاف الطَرقات، وعيناها مثقلتان وكأنهما عبرتا صحراء طويلة من الدموع.

رفعت جسدها بصعوبة وهي تشعر بأن الغرفة ليست كما تذكّرتها... كانت مرتّبة ونظيفة، ورائحة خفيفة من عطر الورد تملأ المكان.

نظرت بجانبها، فوجدت باقة ورد جوري بلون الدم، ملفوفة بورق فاخر، وبجانبها علبة شوكولاتة داكنة، عليها شريط أحمر صغير.

ارتسمت على وجهها ابتسامة باهتة، مهزوزة، اعتقدت في لحظتها أن فهد رغم كل شيء ربما شعر بالذنب.

لكنها لم تكن واثقة، فثقتها في الناس قد تآكلت كما يتآكل الحديد تحت المطر.

همّت أن تنهض، لكنها سمعت صوت خطوات تقترب...

توقف قلبها لحظة. قبضت على الغطاء وشدّته نحوها بحذر، ظنًا أن فهد عاد.

لكن الذي دخل كان راكان...

ملامحه هادئة، يحمل صينية عليها فنجان قهوة، وبعض الخبز والجبن، وكوب ماء، وصحن صغير من التمر.

رفع عينيه إليها وابتسم ابتسامة خفيفة، مترددة، ثم قال بهدوء :صباح الخير... شكلك محتاجة فطور دافي.

ظلت تنظر إليه... صامتة.

مزيج من الدهشة والارتباك والخوف يدور داخلها.

من هذا الرجل؟ ولماذا يعاملها بلطف؟ ولماذا تشعر بالأمان في حضوره وهي بالكاد تعرفه؟

راكان وضع الصينية على الطاولة الصغيرة قرب السرير، ثم أشار إلى الورود:مش من فهد... أنا جبتهم. حبيت تفتحي عيونك على شيء مش مؤلم.

شعرت بكلمات تعلق في حلقها.

عينها تلمع، لكنها لا تسمح للدموع بالهروب.

قالت بصوت خافت، كأنها تعاتب نفسها:ليه؟

رد بهدوء، وهو يتجنب النظر المباشر لعينيها:لأنك ما تستاهلي اللي حصلك. ومش لازم تفضلي لوحدك في الحرب دي.

سكتت...

ثم نزلت دمعة، يتيمة، على خدها الأيسر.

لم تكن دمعة حزن فقط، كانت دمعة دهشة. كيف يمكن ليدٍ أن تمسح وجعًا خلفه آخرون؟

مد يده بالماء نحوها دون إلحاح.

فأخذته، بيد مرتعشة، وشربت نصف الكوب.

قال بابتسامة ناعمة:أنا هنا، بس وقت ما تكوني جاهزة للكلام.

ثم خرج، وترك الباب مواربًا...

هذه اللحظة لا تدور فقط حول وردة وهدية.

إنها لحظة بين ما كان وما يمكن أن يكون.

بين قلب محطّم، وعقل يحاول الترميم.

راكان لا يحاول إنقاذ سهير، بل يمنحها فرصة أن تنقذ نفسها، وهو فقط يقف بالقرب دون فرض نفسه.

المشاعر المتناقضة لدى سهير تشعر بالدفء والخوف في آن.

الحنان بات غريبًا على جلدها، ولكنها تتوق له دون وعي.

راكان يراها إنسانة في عالم جعلها مجرد شيء.

بقيت سهير تحدّق في الباب المَوارب بعد خروج راكان، تشعر بشيء جديد... لا يشبه الخوف، ولا يشبه الراحة...

كان كأنه انتظار لصوت لا تعرف إن كانت تريده أن يعود، أم يخشى قلبها أن يقترب أكثر.

جلست على حافة السرير، لم تعد تقوى على البكاء، بل كانت منهكة من كل شيء...

نظرت للورد... مدت يدها ولمسته بخفة، فابتسمت رغم نفسها، كأن شيئًا بداخلها سألها:هل من الممكن أن يعيد أحدهم شيئًا منّا، حتى بعد أن كُسر؟

مرّت ساعة بصمت، قبل أن تسمع طرقة خفيفة على الباب، ثم دخل راكان بهدوء، بيده كتاب، وفي عينيه تردد.

قال بصوت منخفض:ما حبيت أسيبك كتير لوحدك... بس لو مش حابة تشوفي حد، أخرج فورًا.

رفعت نظرها إليه... ثم قالت بصوت مخنوق:ليه بتعمل كدا؟

تقدّم خطوة واحدة، وبقي واقفًا:يمكن عشان شوفت في عنيك صرخة أنا عارفها... وكنت بتمنى يوم حد يسمعها فيّا.

صمتت...

كأن كل ما عرفته من سنواتٍ من الإهانة والخوف والقسوة لا يعرف كيف يتعامل مع هذا النوع من البشر.

سألته:أنا... كنت فين؟ إنت لقيتني إزاي؟

اقترب قليلاً، ثم جلس بعيدًا على طرف الكرسي:كنت مراقب فهد... من أول ما حسّيت إنه بيخفي حاجة. يومها شفتك، سايبك في العربية متل ما تتركي كيس...

اتبعتكم، ولما خرج من البيت، دخلت. لقيتك ملقاة... كنت بردانة... ووشك ما فيه لون."

غطّت وجهها بكفّيها.

أحست أنها تنكسر أمامه.

لكنها لم تجد في نظراته شفقة، بل صدق، وشيئًا من الاحترام الذي لم تعتد عليه.

قال بصوت خافت:أنا مش عايز منك حاجة... بس لو بتحتاجي تهربي، أنا موجود.

ولو بتحتاجي تحكي... ممكن أسمعك، زي ما أنا.

رفعت رأسها، بعينين حمراوين وقالت:أنا... مش عارفة أثق في حد... بس وجودك مش بيخوفني.

ابتسم راكان، وقال:ودي أول خطوة... لما ما نخافش.

ثم وضع الكتاب على الطاولة، وقال:لو حبيتي تقري، فيه قصص ناس اتكسرت واتصلحت.

وإنتِ، مش لوحدك.

هنا يبدأ التغيير، ليس فقط في محيط سهير، بل في نظرتها لذاتها.

التحول بطيء، مؤلم، لكن أول لمحة حقيقية للحياة بدأت تلوح في الأفق.

أما راكان، فهو لا يقدّم نفسه كبطل، بل كـ"إنسان آخر مجروح"، يرى في سهير شيئًا من روحه.

لم تكن ندى تطلب الكثير من الحياة، فقط سقف لا يسقط، وقوتٌ يسدّ جوع ابنها، وابتسامة صغيرة على وجهه تكفيها لتنسى كل ألم.

بعد طلاقها، أُغلقت الأبواب في وجهها واحدًا تلو الآخر.

أهلها تبرأوا منها، قالوا:رجعي لجوزك، ولا تستنينا نفتحلك بيتنا!

وزوجها السابق تنصل من كل مسؤولية، نكايةً بها.

تعمل ندى في مصنع صباحًا، وتنظف البيوت مساءً.

تحمل على كتفيها صغيرًا لم يتجاوز الرابعة، تطعمه قبل أن تأكل، وتغطيه في البرد وهي ترتجف.

سليم كان ذكيًا، يضحك لها كثيرًا، يركض خلفها وهو يقول:ماما، لما أكبر أنا هشتغل مكانك وأخليكي ترتاحي.

لكن التعب لا ينتظر الكِبر، والمرض لا يسأل كم بقي من الأحلام.

في إحدى الليالي، شعرت ندى بصداع عنيف وضيق تنفّس...

أشارت لابنها أن يحضر لها كوب ماء...

لكنها لم تُكمله.

انهارت أمامه، ووقع الكوب وتكسّر.

صراخ سليم ملأ الغرفة:ماما! قومي! ماماااا...

ولم تقم.

مرّت ساعات، ثم أيام...

الولد لا يعرف ماذا يفعل، ينام بجانبها، يحاول أن يوقظها، يأكل بقايا الخبز اليابس، يشرب من صنبور الحمّام.

يبكي، يصمت، ينام، ويستيقظ ليجدها ما زالت لا تردّ.

كانت الشقة مغلقة، الستائر مسدلة، والحيطان لا تبوح.

رائحة الموت فقط كانت تدقّ الأبواب من الداخل.

بعد أسبوعين، شمّ الجيران الرائحة.

طرقوا الباب، لا رد.

كسروا القفل، واقتحموا المكان.

وجدوا جسد ندى متحللًا، وولدها يحتضنها دون وعي، يبكي بلا صوت.

عيناه شبه مغلقتين من الجفاف، وشفاهه متشققة.

عندما حمله أحد الجيران، همس الطفل بخفوت:هي ماما زعلانة مني؟ ليه ما بتردش؟

في المستشفى، نجا الطفل بأعجوبة.

لكن قلبه تغيّر...

كلما رأى بابًا يُغلق، خاف أن يُغلق إلى الأبد.

هناك مئات مثلهما، لا يراهم أحد.

أمهات يبتلعهن التعب، وأطفال ينامون على وسادة من الصبر.

كل ما كانوا يحتاجونه... أن يسأل أحد:إنتي كويسة؟ محتاجة حاجة؟

تم تحويله لاحقًا إلى دار رعاية. وهناك، بدأ فصل جديد، ليس أقل قسوة من سابقه. الغرف باردة، الأطفال كُثر، لكن لا أحد يشبه أمه، لا أحد يناديه "حبيبي"، لا أحد يقرأ له قصة قبل النوم أو يربت على رأسه عندما يخاف.

كان يجلس في الزاوية، يحضن دُميته الصغيرة الباهتة، لا يتكلم كثيرًا، يتبع المربّية بنظراته فقط. كل يوم يسأل نفسه بصوت منخفض:ماما، انتي راحتي فين؟

كان يسمع الأطفال يتحدثون عن زيارات أهلهم. هو لم يزره أحد. لا أقارب، لا أهل، لا سؤال. ندى كانت كل شيء، وبموتها أصبح لا شيء في عيون المجتمع.

مرّت شهور. تعلم سليم كيف يصمت. كيف يُخفي دموعه. كيف يبتسم حتى لا يُسأل.

لكنه لم ينسَ. في كل مرة ينام، يحلم بأمه. يراها تضع الغطاء عليه وتقبّله بين عينيه.

كان يهمس في نومه:أنا كويس يا ماما... مستنيّك.

وفي أحد الأيام، دخلت متطوّعة جديدة إلى الدار. اسمها حنان. كانت حنونة فعلًا. جلست بجانبه، سألته عن اسمه، مدّت له قطعة بسكويت، ثم ابتسمت.

شيء في نظرتها ذكّره بأمه.

لأول مرة، اقترب سليم من أحد، وسأل بصوت مرتعش:

لو سمحتي... ممكن تبقي ماما؟ حتى لو بس شويه؟

كانت سما تعيش حالة من التوتر الداخلي لا يشبهه شيء. انتهت الاختبارات، لكن الخوف الحقيقي بدأ الآن. لم تكن تخشى النتائج بقدر ما تخاف من خيبات الأمل، من الأعين التي تترقّب، من والدتها التي لا ترى فيها سوى رقم ينبغي أن يتجاوز التسعين، ومن همسات الجارات اللواتي يختصرن المجهود بكلمة: "جابت كام؟"

كل صباح، تخرج لتسير حول الحي في محاولة لتنفيس القلق، تراقب الأطفال، المارة، وحتى الغيوم... ذات صباح جلست على مقعد في الحديقة الصغيرة، بجانب فتاة تبدو جديدة على الحي، صامتة، غامضة، ترتدي وشاحًا داكنًا وتحدق في دفتر صغير.

إنتي جديدة هنا؟، سألتها سما.

رفعت الفتاة عينيها، ابتسمت بخفة وقالت: "ثممكن تقولي كدا... أنا اسمي ريما.

بدأت صداقة غير متوقعة بين الفتاتين. ريما لم تسأل سما عن نتيجتها، ولم تهتم بأرقامها، بل كانت تحادثها عن الكتب، عن الأماكن التي تتمنى زيارتها، وعن الحرية من التوقعات. كانت تمثل عالمًا غريبًا وجديدًا على سما، عالم لا يُقاس بالدرجات.

لكن سرعان ما تغيّر كل شيء...

في مساء أحد الأيام، ضجّ الحي بصراخ الأم المذعورة: ابنها الصغير اختفى. طفل في الرابعة، كان يلعب أمام البيت، واختفى فجأة. الشرطة حضرت، الجيران تجمّعوا، والخوف انتشر. الجميع اتّهم الجميع، وبدأت الشكوك.

سما، رغم قلقها من النتيجة التي ستُعلن غدًا، لم تستطع التوقف عن التفكير في الطفل المختفي... وفي ريما، التي لم تظهر منذ يومين. تساءلت: من هي ريما فعلًا؟ ولماذا لا أحد يعرف عنها شيئًا؟

النتائج، الطفل المختطف، الصديقة الغامضة... كل ذلك يختلط داخلها كدوّامة.

استيقظت سما في اليوم التالي على صوت رسائل لا يتوقف.

الهاتف يمتلئ بعبارات من نوع:ظهرت النتيجة!

كم جبتِ؟

شوفي رابط المدرسة!

أمسكت الهاتف بيد مرتجفة. قلبها يدقّ كأنها تنتظر حكمًا.

فتحت الرابط، بحثت عن اسمها، وحين رأته... توقفت.

الرقم كان جيدًا، بل ممتازًا. لكنها شعرت بفراغ.

لا فرح، لا ابتسامة، فقط نظرة ثابتة إلى السقف.

همّت بالنهوض، لكن وجه ريما قفز إلى عقلها.

أين اختفت؟ لماذا لم ترد على رسائلها منذ اختفاء الطفل؟

حاولت تجاهل الأمر، لكن فضولها دفعها إلى فعل ما لم تتوقعه:

ذهبت إلى الحديقة، وجلست في نفس المقعد الذي جمعها بريما.

انتظرت. لا أحد.

اقترب منها حارس الحديقة العجوز وهمس:بتدوّري على البنت اللي كانت معاكِ؟

نظرت له باندهاش: أيوه... تعرفها؟

قال بصوت خافت:هي مش من هنا... جات من أسبوعين. كانت بتسأل على بيت قديم قريب من هنا. وقالتلي: محدش يعرف إني هنا.

شعرت سما بقشعريرة، فطلبت منه وصف البيت.

سارت عبر الأزقة حتى وصلت إلى منزل مهجور، يبدو أنه لم يُفتح منذ زمن.

لكن الباب الخلفي كان مكسورًا، وآثار أقدام صغيرة تقود إلى الداخل...

دخلت، وكل خطوة كانت كأنها تُخرج نبضًا من قلبها.

في غرفة جانبية وجدت شيئًا لم تتوقعه:

حذاء طفل صغير مغبر، دفتر رسومات، وبطانية مطويّة بعناية.

تجمدت. الطفل المختفي... كان هنا؟

وفجأة، صوت أنثوي خلفها:ما كانش المفروض تلاقي المكان دا...

استدارت، كانت ريما تقف هناك، بوجه شاحب ونظرة حزينة.

قالت سما: ريما... إنتي... فين الطفل؟ إنتي ليه هنا؟

تنهدت ريما وقالت:كنت بحاول أحميه... من أهله. من الضرب. من الإهمال. مش خطفته... كنت بحاول أنقذه. بس يمكن... غلطت.

وهنا يبدأ الصراع الداخلي:هل تُصدّق سما هذه القصة؟

هل تبلغ الشرطة؟

هل تحتفظ بالسر؟

مرت أيام قليلة منذ أن هربت سهير بمساعدة راكان. كانت تتوارى عن الأنظار، تختبئ في شقة قديمة بعيدة عن الأحياء التي تعرفها، تحاول لملمة شتاتها، بينما قلبها ينبض بالخوف في كل لحظة تسمع فيها وقع خطوات خلف الباب.

أما فهد، فقد استشاط غضبًا حين اكتشف اختفاءها. لم يكن هروبها إهانة فحسب، بل كسرًا لغروره وسلطته.

صرخ وهو يضرب الطاولة بقبضته:هتدفع التمن غالي... واللي ساعدها كمان!

بدأ فهد رحلة بحث جنونية، استنفر معارفه، لوّح بالمال والتهديد، واعدًا بمعاقبتها عقابًا لا يُنسى.

كان يردد بوحشية:مراتي... وهتفضل مراتي! ومحدش ياخدها مني حتى لو كانت بتكرهني!

في الجانب الآخر، كان راكان غارقًا في حزن ثقيل.

سمع من أحد المقربين أن فهد تزوج سهير بورقة موثقة... صُعق.

تذكر دموعها، يديها المرتجفتين، كيف ارتجفت حين همست له:أنا متجوزاه غصب... ما قدرتش أقول لأ... كان ممكن يقتلني.

جلس راكان في عتمة غرفته، يحتضن صوته الداخلي الذي يصارع حقيقته.

لم تكن الغيرة ما أكل قلبه... بل العجز.

كان يملك القوة ليحميها، لكنه أتى متأخرًا.

تمتم بصوت مكسور:لو كنت عرفتك قبل كل دا... كنت خدتك ومشيت...

لكن الواقع كان قاسيًا.

سهير لا تزال زوجة فهد أمام القانون.

والخطر لا يزال يحيط بها.

كانت الشمس تغيب على حيٍّ هادئ ظاهريًا، لكن تحت هذا الهدوء كانت العاصفة تتجمع.

دخل راكان إلى المقهى القديم حيث اعتاد فهد الجلوس مع رجاله. كان الجو ثقيلًا، والأنظار تتوجه نحوه، لكنه لم يتردد. اقترب من الطاولة بثبات.

فهد رفع رأسه ببطء، ابتسم بسخرية:يااااا... راكان! نورت... ناقصك بس وردة في إيدك.

تجاهل راكان السخرية، وصوته خرج هادئًا... لكنه مشحون:فين سهير؟

ضحك فهد وهو ينقر بإصبعه على الطاولة:سهير؟! مراتي؟ اللي اتجوزتها رسمي؟ عايزها ليه؟ دا حتى القانون معايا.

اقترب راكان أكثر، عيناه تلمعان بالغضب:مراتك؟! ولا أسيرتك؟ بتسمي دا جواز؟ إجبار، تهديد، تعنيف؟ أنت مش راجل... أنت مجرد جبان بيتغذى على خوف البنات.

فهد نهض بعنف، الكرسي اصطدم بالأرض خلفه:احترم نفسك... قبل ما أنسى مين أنا!

لكن راكان لم يتراجع:أنا احترمت نفسي يوم ما قررت أحميها منك، ويوم ما حاولت أرجع لها كرامتها اللي سرقتها.

سادت لحظة صمت مشحونة... ثم:

فهد بصوت خافت وبارد:لو قربت منها... هتندم. دي بتاعتي، غصب عنك وعنها.

اقترب راكان حتى أصبح بينهما شبر:هتندم إنت... لأن في يوم، هتلقى نفسك لوحدك... والناس اللي زيك بيطيحوا لوحدهم.

وانصرف، يترك فهد يغلي من الداخل، وكأنه أشعل فتيل حرب لا رجعة فيها.

منذ المواجهة في المقهى، لم تهدأ نيران فهد. لم يعد يثق بالهدوء من حوله، وبدأ يشك أن راكان ما زال على تواصل مع سهير.

اشترى هاتفًا جديدًا، عيّن رجلين لمراقبة تحركات راكان، وأصبح يقضي لياليه يتتبع كل صغيرة وكبيرة.

في أحد الأيام، رآه يدخل صيدلية ثم يخرج ويحمل كيس دواء، ثم يتجه إلى أطراف الحي، إلى مكان شبه مهجور فيه مبنى صغير مهترئ.

فهد ابتسم بخبث.

لقيتك يا ابن....

انتظر حتى المساء، ثم نزل بنفسه متخفيًا، يرتدي قبعة ومعطفًا قاتمًا. سار خلف راكان بهدوء، بخطوات مدروسة، يختبئ بين السيارات، يراقب بتركيز كل حركة.

وصل راكان إلى المبنى، قرع الباب ثلاث مرات بنمط معين، ثم دخل.

الساعة كانت تشير إلى العاشرة والنصف مساءً.

فهد انتظر، أخرج هاتفه، صوّر المدخل، أرسل الموقع لرجل معه، ووقف يراقب المكان كذئب يتحين لحظة الانقضاض.

مرت خمس عشرة دقيقة، ثم خرج راكان... وحده.

ولكن في لحظة خاطفة، لمح فهد من النافذة العليا ظلًا يتحرك داخل الغرفة، خيال امرأة بشعر طويل ومظهر منهك.

فهد جزم في نفسه: سهير هنا.

عيناه اشتعلتا غضبًا. لم يعد هناك مجال للتفاوض.

اتجه للباب الخلفي، تسلل بهدوء كصقر ليلي. كان معه نسخة من مفك البراغي، ودخل المبنى بحذر، يتحرك على أطراف أصابعه.

في الطابق العلوي، سمع صوت خطوات خفيفة وهمسات.

فتح باب الغرفة فجأة...

سهير كانت تقف أمام النافذة، وصرخت من الرعب عندما رأته.

لكنه لم يتحرك نحوها. فقط قال ببرود:فاكرة إنك هتهربي مني؟! دا اللي بينّا مابيخلصش بالهروب... بينّا حساب طويل يا سهير... طويل أوي.

أُغلِق الباب بقوة خلف فهد، وصدى الخطوة الوحيدة التي خطاها داخل الغرفة جعل قلب سهير يهوي.

كانت واقفة أمام النافذة، يداها ترتجفان، ووجهها شاحب كأن الدم فارق جسدها. التفتت نحوه ببطء، كأنها تعلم أن شيئًا رهيبًا على وشك الحدوث.

فهد اقترب منها خطوة خطوة.

لم يكن يصرخ، لم يكن يتكلم بصوت عالٍ... كان صوته هادئًا جدًا، ومرعبًا بنفس القدر.

هربتي مني؟... فاكرة كده خلصنا؟

سهير بصوت مهزوز:أنا مش هاربة... أنا بعيش، بس بعيد عنك. مش من حقي؟!

ضحك ضحكة ساخرة وهو يرفع يده، يشير حوله:ده اسمه عيش؟! في خرابة؟ مع مين؟ مع العيل اللي فاكر نفسه راجل؟

صرخت وهي تتراجع للخلف:هو أنضف منك... وبيخاف ربنا!

عينيه لمعت. كانت تلك الجملة كأنها طعنة في كبريائه. اقترب منها بعنف، أمسك ذراعها بقوة، جسده يرتجف من الغضب.

أنا جوزك... وعمري ما كنت أقبل الخيانة!

قالتها، وهي تبكي بقلب ممزق:الخيانة؟! الخيانة إنك تبهدلني وتذلني وتكسرني كل يوم... وتفتكر ده حب؟! إنت موتني وأنا عايشة!

أدار وجهه عنها، لكن قبضته ما زالت مشدودة على ذراعها. ثم فجأة، دفعها للخلف بقوة فسقطت على الأرض، ارتطم ظهرها بالحائط.

وقف فوقها، ينظر إليها من علٍ، كأنه يملك كل شيء. لكنها رغم الألم، نظرت إليه بعينين ثابتتين وقالت:أنا مش هخاف منك تاني... حتى لو موتني دلوقتي، كفاية إن في حد في الدنيا بيشوفني بني آدمه.

لأول مرة... اهتز وجه فهد.

تراجع خطوة.

لكن قبل أن يتكلم، انفتح الباب فجأة!

راكان اندفع إلى الداخل، صدره يعلو ويهبط، وعينيه تشتعل غضبًا.

ابعد عنها يا ابن الكلب!

في الحارة دي، حسن معروف... مش لأنه شاطر، ولا لأنه محبوب، لكن لأنه موجود في كل مكان، وفي كل وقت، وملزوق في كل حاجة تخص الناس.

لو حد ساب شنطته على الباب، يفتحها يشوف فيها إيه.

لو حد بيكلم في التليفون، يقرّب يسمع.

لو باب شقة مفتوح، لازم يطل.

يحب يسأل، يعلق، يحشر نفسه، وبجملة واحدة يضيع الراحة من أي بيت.

سارة كانت أكتر واحدة بتتضرر منه، كل ما تطلع من باب الشقة تلاقيه قدامها.

رايحة فين؟ ليه لابسة كده؟ سمعتي صوتكم امبارح، كنتوا بتتخانقوا؟

في البداية كانت بتطنش، بس مع الوقت بدأ يضايقها بزيادة، حتى في شغلها اتصل بالشركة وسأل عنها!

الجيران تعبوا.

عم جمال قال:الواد ده لو اتوظف في المخابرات ما كانش عمل أكتر من كده!

سارة حاولت تشتكي، لكن حسن كان دايمًا يقول:أنا بسأل من باب الاطمئنان، الحارة كلها عيلة واحدة!

يوم من الأيام، طفح الكيل.

قرر الشباب يعملوا فيه مقلب كبير... خلوه يفتكر إن الشرطة بتراقبه عشان بيزعج الجيران.

جابوا له جواب مزيف، حطوا كاميرات وهمية، وكل ما يسأل حد يقوله: أحسنلك تبعد، الحكومة ليها عين في كل حته.

بدأ حسن يخاف، يتراجع، يبعد، ويتنقل من شخص للتاني بخوف... وأخيرًا بدأ يستوعب إن اللي بيعمله مش حب ولا فضول، ده تطفّل وازعاج.

حسن بدأ يحس بالخطر.

بقى ماشي وراسه في الأرض.

بطّل يسأل.

حتى أنه في يوم شاف سارة ومرحبش...

أول مرة تحصل!

بعد أسبوع، اختفى حسن من الحارة.

قالوا إنه سافر عند خاله، وقال لبعض الناس إنه حاسس إن في ناس بتراقبه وعاوز يبدأ حياة جديدة بعيد عن العيون.

ضحكوا، لكن سارة قالت:أنا مش عايزاه يخاف... بس عايزاه يفهم إن كل إنسان له مساحته. خصوصيتي مش موضوع للنقاش.

حسن نشأ في بيت مليء بالفوضى.

أب غائب معظم الوقت، وأم مشغولة بلقمة العيش.

لم يتعلم كيف يكوّن علاقات صحية، فظنّ أن الاقتراب المفرط هو نوع من الحب.

حين كان صغيرًا، لم يكن أحد يهتم أين يذهب، أو من يصادق.

فقرر أن يعكس الأمر، ويهتم بكل تفصيلة عن غيره، وكأنه يقول للعالم:أنا هنا... شوفوني... خُدوا بالكم مني.

صفاته: لا يحب الأذى أبدًا، لكنه لا يعرف حدوده.

يخاف الوحدة، ويفضل أن يُرفض على أن يُنسى.

سريع التعلّق، ويظن أن مراقبة الناس = مشاركة حياتهم.

يشعر دائمًا بأنه غير كافٍ... فيحاول التعويض بالمراقبة.

بعد اختفاءه عن الحارة، وعزله في بيت خاله، مرّت عليه أيام من الصمت.

وبينما كان ينظر من شباك صغير، شاف نفس المشهد اللي كان بيحبه زمان:ناس بتضحك... واحدة بتحمل شنطة... طفل بيجري ورا كورة.

لكن لأول مرة، ما عرفش أسماءهم، ولا تفاصيلهم.

وحسّ لأول مرة بالفراغ الحقيقي اللي جواه.

مش فراغ معلومات...

فراغ مشاعر.

فأخذ ورقة وكتب:يمكن ما كنتش فاهم الناس، بس أكيد دلوقتي عرفت إني محتاج أفهم نفسي الأول.

وبدأ يتعلم.

دخل كورس على اليوتيوب عن "الذكاء العاطفي".

وبعدها، بدأ يدوّن كل مرة شعر فيها بالحاجة للسيطرة أو المراقبة... ويفكر: ليه؟

رجع الحارة بعد شهرين...

هادئ، مبتسم، ماشي على مهله.

بيسلم على الناس... لكن من غير أسئلة.

بيقف عند سارة ويقول:أنا آسف... فعلاً آسف. أنا كنت فاكر إني كده باهتم، بس كنت بتعدّى حدود مش من حقي.

اتعلمت إني ممكن أكون موجود... من غير ما أكون مزعج.

وسارة، بابتسامة متفاجئة، ردّت:دي أول مرة أشوفك بتقول حاجة حقيقية من قلبك. خطوة حلوة، حسن.

سهير تصرخ:كفاية!

لكن صراخها يضيع وسط صوت اللكمات الثقيلة،

فهد يصفع وجه راكان بكل ما أوتي من كره،

وراكان يرد بلُكمَة تفجر شفتَي فهد دمًا.

سهير تتراجع للخلف، ظهرها يرتطم بالجدار، أنفاسها تتسارع...

وفجأة

لم تعد ترى الغرفة...

بل ترى جثة أبيها، والدم يغطي ملابسه، وفهد يصرخ:هو اللي جابها لنفسه!

تنهار على ركبتيها، وصرخة مكتومة تهرب من حلقها.

راكان يصرخ:لماذا فعلت بها ذلك؟! دي إنسانة! مش ملكك!

يرد فهد، بابتسامة متكسّرة:ما نسيتهاش وهي بترمي نفسها عليّ... كانت دايمًا بتستاهل أكتر.

وهنا... يحصل الانفجار الحقيقي.

راكان لا يردّ بالكلام، بل يصرخ ويهجم عليه من جديد.

كل لكمة تخرج من قلبه، من إحساسه بالفشل لأنه لم ينقذ سهير في الوقت المناسب،

من حبه المكبوت لها،

من إحساسه بالقهر إنه عرف متأخر.

سهير ترتجف... لا تريد أن ترى رجلين يتحولان إلى وحشين،

لكنها تعرف...

فهد هو من بدأ.

فهد هو السبب في وجعها، وموت والدها، وتمزّق طفولتها.

تقف، بشجاعة مرتجفة، تمسك بيد راكان وتصرخ:كفاية!

أرجوك... كفاية، ما تبقاش زيه.

تتوقف يد راكان وهي في منتصف الهواء...

ينظر لها، ثم لفهد المنهك على الأرض.

ينزل ذراعه... ويده ترتجف.

فهد يزحف للخلف، مذهولًا من تخلّي سهير عنه،

وسهير تمسك يد راكان وتخرج به من المكان،

وفي عينيها دمعة واحدة،

لكنها دمعة ما بين الراحة... والخوف مما هو قادم.

رآها تسير بجانب راكان، وعينها تمتلئ بهدوء لم يمنحه لها أبدًا.

في لحظة، اندفع، سحبها من يد راكان وسط صراخها،

رجاله أحكموا السيطرة على راكان،

وانطلقت السيارة به وبسهير، التي قاومت قليلًا...

لكنها بعد دقائق، غرقت في غيبوبة قصيرة بفعل المخدر الذي دسّه لها فهد في المنديل.

جلس فهد بجوارها، ينظر إليها،

تبدو وكأنها نائمة بهدوء، كأنها لم تهرب منه يومًا.

كانت شاحبة... ضعيفة...

لكنها ما زالت أجمل امرأة رآها.

مدّ يده ولمس وجهها بهدوء.

قبّل جبهتها وهمس:ليه بتبعدي؟ ليه بتخافي مني؟

أنا بحبك يا سهير...

ما حد فهمك زيي... ما حد حبك زيي."

لكنه نسي،

أن الحب لا يُبنى على التهديد،

ولا يُترجم بالضرب أو السيطرة.

هو لا يعرف كيف يحب...

هو فقط يتملك.

فهد لم يكن رجلًا عاديًا،

كان مزيجًا من الطفل المهجور الذي لم يشعر يومًا بالأمان،

والرجل الذي يرى في المرأة وسيلة للثبات،

كان يعتقد أن سهير إذا أصبحت "ملكه"،

فسيشعر أخيرًا بالراحة.

لكنه كلما اقترب منها...

أشعل فيها الخوف بدلًا من الحب.

وبينما هو يقبلها وهي نائمة،

لم يرَ في عينيها الحب...

بل النفور حتى في نومها.

عندما تستيقظ سهير، ويجدها ترتجف وتبكي وتبتعد عنه،

لن يفهم...

وسيصرخ:أنا بحبك! ليه مش شايفة ده؟!

فترد بصوت متقطع:ده مش حب...

دي لعنة... وأنا عاوزة أعيش!

سهير عايشة مع فهد.

مش برغبتها... بس لأنها ما عادت تقدر تروح مكان تاني.

البيت هادي... وبارد.

هي مش بتتكلم كتير، وهو مش بيقرب منها.

تطبخ وتأكل بصمت، تغسل وتنام.

لكن فهد بيتغير...

كان بيقفل الباب بالمفتاح، دلوقتي بيسيب المفاتيح على الطاولة.

كان بيزعق، دلوقتي صوته ناعم.

كان بيطفي النور وهي تسهر، دلوقتي بيشيل لها بطانية لما تنام على الكنبة.

في يوم، سهير تعبت...

ولما صحت، لقيت فهد بيقرأ قرآن جنبها.

سألته بصوت متردد:مين علمك تقرأ؟

رد وهو مبتسم بنظرة ندم:أنتِ... لما قلتيلي مش كل اللي بيقرا كتاب بيعرف يفهم القلوب.

في ليلة مطر، سهير انفجرت فيه:أنت فاكر إنك تتغير يعني خلاص؟!

فاكر الورد والهدوء يمحي كل اللي عملته؟

أنا لسه بسمع صوت صرختي في ودائي...

فهد ما دافعش عن نفسه،بس نزل على ركبته قدامها وقال:أنا مش عايزك تنسي... بس نفسي لما تفتكري، ما تبكيش.

هافضل أحبك لحد ما وجعك يختفي أو أنا أختفي.

سهير... تعبانة من السكوت؟

سهير تنظر إليه ثم تعود ببصرها للكوب:السكوت أرحم من كلام ممكن يوجع أكتر...

فهد

أنا مش عايز أوجعك... أنا يمكن بقيت كويس متأخر، بس...

أنا بتغير، عشانك. مش علشان أريح ضميري.

سهير تضحك بسخرية، بدون ما تبص له:تغيرت؟

ده اللي زيك لما يتغير بيرجع يعتذر وهو شايل دبلة في جيبه، مش آثار على جسمي.

فهد ينظر للأرض، يتنفس بعمق:عارف...

بس مش عايز أعتذر بالكلام.

أنا عايز أعتذر بالفعل... في كل شاي أعمله، في كل مرة ما أقربلكش إلا لما تبصيلي.

سهير صوتها يرتجف، لأول مرة بصوت حقيقي:أنا مش بخاف منك زي الأول...

بس كل ما تقرب، جسمي بيشد... كأني هستعد للضرب.

فهد يمد يده ببطء ناحية الكوب مش ناحيتها:خدي وقتك...

أنا هستنى، مش هلمسك إلا لما تبقي أنتي عايزة...

وأنا مش طالب تسامح، بس طالب فرصة أكون بني آدم، مش وحش زي ما كنت.

سهير تنظر له، بهدوء، بدون دموع:أنا مش عارفة إذا كنت هحبك...

بس يمكن أقدر أتعلم أعيش جنبك من غير ما أكره نفسي.

فهد يبتسم بخفة:كفاية إنك لسه قاعدة قدامي.

سهير

ما عنديش مكان أروحه...

فهد

خلي البيت ده يبقى مكانك، مش قفصك.

صمت طويل، فقط صوت عقارب الساعة

سهير بصوت ناعم جدًا:أنا بحب الشاي بسكر خفيف...

فهد بابتسامة صغيرة وحقيقية:من بكرة، هعمله صح.

بعد خروجه من مشهد مشحون بالغضب والانكسار، راكان كان يمشي في الشارع وهو شارد الذهن، غاضب، لا يرى من حوله، خطواته سريعة ونظراته على الأرض.

فجأة، شعر بشيء يصدمه في جسده، فانتفض واستعد ليرفع صوته، وإذا به يحدق في فتاة قصيرة، تحمل كيسًا من المشتريات، ونظراتها غاضبة جدًا.

الفتاة بانفعال:انت أعمى؟ ساد الطريق كأنك شجرة! وخر عني لا ارتكب فيك جريمة تخليني مشهورة في النشرات الأمنية!

راكان مندهش أولًا، ثم ينفجر ضاحكًا:انتي مين؟ بطارية بنكهة غضب؟

الفتاة تزداد غضبًا:طولك ده فشخرة سايبة! تمشي كأنك ملوّك الدنيا وأصلاً عقلك رايح يتمشى قبلك!

راكان بسخرية محببة:آه، باين إن النهارده يوم سعدي، اتصدمت بقنبلة نووية بالحجم الصغير.

الفتاة:اتركني في حالي قبل ما أوريك قدي إني خطيرة!

راكان مبتسم رغم كل شيء:أنا محتاج أشوف ده! بس على مهل، ممكن اسمك قبل ما تقتليني؟

الفتاة تشيح بوجهها وتمشي بحدة:مش فاضية لك، أنا مستعجلة!

وهو يضحك خلفها ويقول:أنا راكان... عشان لما تروحي تكتبي الشكوى، تكتبي اسمي صح!

يتكرر لقاؤهما مصادفة عند البقال أو في الحي.

هي ساخرة، ذكية، لا ترهبه، وكل مرة ترد عليه برد أقوى، وهو يزداد إعجابًا.

يتابعها دون أن يُظهر اهتمامًا واضحًا، بينما هي تظنه مزعج ثقيل دم.

ثم تكتشف لاحقًا أنه أنقذ طفلًا من حادث، أو ساعد الجيران، فيبدأ قلبها يلين.

حي شعبي، الوقت صباح، الناس تخرج لأشغالها، والشارع ينبض بالحياة والتعب.

هاني: يعمل في محل بيع قطع غيار، صوته دائمًا مبحوح من الزعيق على الزباين، حياته اليومية فيها مواقف مضحكة، لكن في داخله حزن كبير من تأخر زواجه بسبب ضعف حاله.

حاتم: سائق توصيلات خاصّة، يطلع من بيته الفجر، ويعود آخر الليل. يحب شغله، لكنه مرهق. يحن لحياة هادئة، لكنه لا يستطيع التوقّف. دائمًا يقول: لو نمت، مين يصرف؟.

فهمي: يشتغل في مخزن كبير، جسمه تعِب من الشيل والتحميل، لكن قلبه خفيف وروحه دايمًا فيها نكتة. يسخر من فقره عشان يقدر يتحمله.

راضي: الأكبر سنًا، موظف حكومي سابق، تقاعد مبكرًا بسبب ظروفه الصحية. يعيش وحيدًا، يشتاق لأولاده اللي سافروا، ويصير لهم أحيانًا مثل الأب.

حاتم يدخل القهوة متعب، يخلع كاب السواقة ويرميه على الطاولة.

حاتم:حاسس رجليّ بقوا عصيان، والمكيف في العربية عطلان، يا دنيا!

هاني يضحك:وأنا زبون جهلي وقال لي: القطعة دي غالية؟ قلت له ده ثمنها قليل بالنسبة للموت فجأة بسبب فرامل بايظة!"

فهمي داخل ومعاه سندويتش فول:أنا قلت للمعلم اليوم: يا تدفعني بدل تعب نفسي، يا أما أشتكيك لربنا في قيام الليل!

راضي يبتسم من بعيد:إنتو شباب ولسه بتضحكوا، أنا بقيت أقيس يومي على عدد الأقراص اللي أخدتها!

يضحكون جميعًا، ثم يخيّم الصمت للحظة...

حاتم بجدية:إحنا بنتحك عشان ما نبكيش... بس كل واحد فينا شايل جبال.

هاني يحاول فتح مشروع صغير لكنه يقع في شراكة فاشلة.

حاتم يتورط في حادث عمل ويُطلب منه دفع تعويض، فيلجأ لأصدقائه.

فهمي يحاول أن يتزوج، لكن الظروف لا تسمح، فتبدأ قصة مشاعر بسيطة مع بنت الجيران.

راضي يتعب ويُدخل المستشفى، فيظهر معدنهم الحقيقي، ويجمعهم مرة أخرى.

كان الجو في بيت والد فهد يوحي بالهدوء، وسهير تحاول التماشي مع الأيام، لا حب حقيقي ولا كراهية واضحة، فقط تعايش.

وفجأة، دخلت طليقته السابقة في زيارة مفاجئة، تحدثت مع الجميع بودّ، وقبل أن تغادر، اقتربت من فهد وهمست في أذنه:يمكن تكون سهير ضحكت عليك زي ما ضحكت على الكل... بس الأيام هتثبتلك.

كلماتها كانت كفيلة بإشعال نيران الشك في قلب فهد المريض بالسيطرة. انفجر، وبدأ يرمي بالأشياء، عيونه تشتعل بغضب لا يُفهم.

فهد يصرخ:خانتني؟ من إمتى وأنا بلعب دور الأهبل؟

انهال على سهير ضربًا، شد شعرها وصفعها بقسوة جعلت محسن ينهض مذهولًا، غير مصدق.

فهد بغضب أعمى:أنتِ طالق!! واطلعي بره من حياتي!

وغادر فهد بعشوائية، استقل سيارته وهو يهذي من الغضب، وانطلق بسرعة جنونية...

وفي طريق سريعة، اصطدم بسيارة شحن.

مات فهد في الحال.

تجلس مكسورة، دموعها لا تتوقف. لا على فهد، ولكن على نفسها، على قسوة العالم، على أنها فقدت حتى الحق في أن تحزن كبشر.

مرّت أيام، وبدأت تشعر بضعف جسدي، ودوار غريب.

ذهبت للطبيب، لتُفاجأ بأنها حامل.

شعرت أنها لا تملك رفاهية الاختيار،

هل تحتفظ بطفل من رجل أساء لها، أم تمحو كل أثر لما مضى؟

لكن حين وضعت يدها على بطنها، شعرت بشيء لم تشعر به من قبل...

ربما الحب الحقيقي يولد في أعنف اللحظات.

الخاتمة:

تمرّ الشهور، وسهير تبدأ من جديد. انتقلت لبيت بسيط بعيد عن الماضي، وبدأت في تعلم مهنة بسيطة تعينها.

أنجبت صبيًّا، أسمته سلام، لتكسر دائرة العنف التي وُلدت فيها.

محسن أصبح يزورها من حين لآخر، يشعر بندم شديد على ما كان، ويعامل الطفل كحفيده.

وفي إحدى نزهاتها مع ابنها، رأت راكان عن بعد...

تردد أن يقترب، لكنه اكتفى بنظرة حانية، واحترام للوجع الذي لا يُشفى بسهولة.

الراوي يهمس:لم تنتهِ الحكاية، بل بدأت من جديد...

في حضن أم تعلّمت أن الحنان لا يُورث، بل يُزرع من جديد.

النهاية